

القِرَاعُدُ الْشَّدِيدُ

لِتَعْلِيمِ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْمَدَارِسِ إِلَاسْلَامِيَّةِ

ابْحَرَّ الشَّانِي

تأليف
أبوحسن علي الحسني التدويني

مَحَلِّسُ نُشرَاتِ اسْلَامِيَّةِ

ك. ٣، ناظم آباد، ناظم آباد، كراچي ٢٠٠٣ء

القِرَاعَةُ الْأَسْلَمِيَّةُ

لِتَعْلِيمِ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْمَدَارِسِ الْإِسْلَامِيَّةِ

(الجزء الثاني)

تأليف

أبوالحسن على الحسيني الندووي

مُجْلِسُ شُرُكَاءِ إِسْلَامِ الْهُنْدِ

ا۔ کے۔ ۳ ناظم آبادیشن، ناظم آباد، کراچی ۱۵

جميع الحقوق محفوظة

جملہ حقوق طباعت و اشاعت پاکستان میں

بحق فضل ربی ندوی محفوظ ہیں۔

ہندا کوئی فسردیا ادارہ ان کتب کو شائع نہ کرے
ورنہ اس کے خلاف قانونی کارروائی کی جائے گی۔

القراءة الرشدة (الجزء الثاني)

نام کتاب

ابوالحسن علی الحنفی الندوی

تأیین

حیرانی پر نہنگ پریس کراچی

طبعات

۱۰۳ صفحات

ضخامت

فون نمبر 6601817

یُشَرِّکُ : مَكْتَبَةُ نَدَوَةِ قَاهِمَيْزِرِ اَرَدُوِ بازارِ کراچی

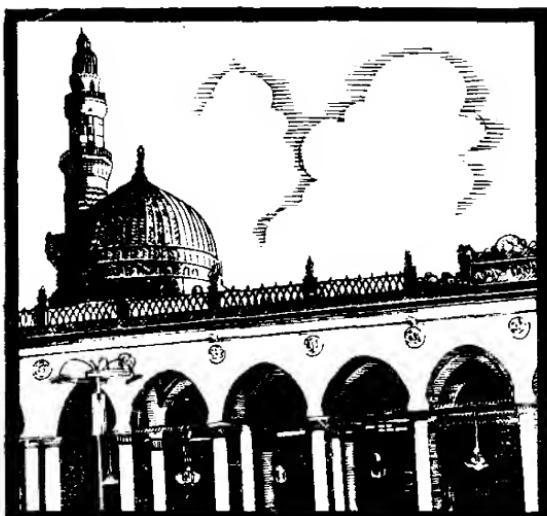
ناشر

فضلے ربی ندوی

مجلس نشریات اسلام ۱۰۰ کے ۳- ناظم آباد میشن ناظم آباد کراچی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شَهَامَةُ الْيَتِيمِ ①



تَرَوْنَ أَمَامَكُمْ صُورَةَ مَسْجِدٍ ، هَذَا مَسْجِدُ النَّبِيِّ
يَعْلَمُهُ فِي الْمُدِينَةِ الْمُوَرَّةِ ، هَلْ تَعْرَفُونَ مِنْ خَبَرِ هَذَا
الْمَسْجِدِ شَيْئًا ؟ إِنَّ لَهُ تَارِيْخًا يَعْتِصِطُ بِهِ كُلُّ طَفَلٍ مُسْلِمٍ .
لَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَمُ التَّنَّاسَ إِلَى اللَّهِ فِي مَكَّةَ
وَنَادَى فِي النَّاسِ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ »
غَضِبَتْ قُرْيَشٌ وَكَانَتْ تَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَكَانَتْ فِي الْكَعْبَةِ

(٣)

الَّتِي بَنَاهَا إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهَا الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ[۝]
لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ: كَانَ فِي قُلُّكَ الْكَعْبَةُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَ سِتُّونَ
صَنْمًا، فَأَشْتَعَلَتْ قُرْيَاشٌ غَضَبًا وَ آذَّوْا رَسُولَ اللَّهِ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}
وَ عَذَّبُوا الْمُسْلِمِينَ، فَصَبَرَ رَسُولُ اللَّهِ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} وَ صَبَرَ الْمُسْلِمُونَ
وَ شَبَّوْا لَهُمْ كَالْجَبَالِ .

وَ الِّكِنْ قُرْيَاشًا كَانُوا يَمْنَعُونَ النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ
وَ يَحْوِلُونَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَ عِبَادَةِ اللَّهِ، فَأَذَنَ اللَّهُ لِرَسُولِ
الَّلَّهِ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} بِالْهِجْرَةِ، فَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَ هَاجَرَ الْمُسْلِمُونَ،
وَ كَانَتِ الْمَدِينَةُ أَرْضًا طَيِّبَةً لِلْإِسْلَامِ، فِي أَهْلِهَا لِنُ
وَرَقَةٌ، قَدْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ قَبْلَ الْهِجْرَةِ .

وَ لَمَّا أَتَقْلَ النَّبِيُّ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} مِنْ شَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَ سَكَنَ
هَنَالِكَ أَحَبَّ أَنْ يَبْقَى مَسْجِدًا، لِأَنَّ الْمَسْجِدَ لَازِمٌ
لِلْمُسْلِمِينَ، وَ هُوَ قُطْبٌ يَتَوَرُّ حَوْلَهُ رَحْيَ الْحِيَاءِ
الْإِسْلَامِيَّةِ .

وَ كَانَ النَّبِيُّ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} نَازِلًا فِي يَتِيَّ أَنْ أَيُّوبَ
الْأَنْصَارِيَّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وَ كَانَ ضَيْفًا عَلَيْهِ، وَ كَانَ
قَرِيبًا مِنْ بَيْتِهِ مِنْ بَدْءٍ، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} أَنْ يَبْقَى

الْمَسْجِدَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى: مَنْ هَذَا
الْمُرْبِدُ؟

قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ اسْمُهُ مَعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ: هُوَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَتَمَّيْنِ، اسْمُ أَحَدِهِمَا سَهْلٌ وَاسْمُ الشَّافِي
سَهِيلٌ.

طَلَبَ رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى سَهْلًا وَسَهِيلًا، وَهُمَا وَلَدَانِ
يَتَمَّانِ، فَلَمَّا حَضَرَا، كَلَّهُمَا رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَمْرِ الْمُرْبِدِ
وَشَهِيدِهِ.

قَالَ سَهْلٌ وَسَهِيلٌ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا نَشْرِئُ
بِهِ شَهِيدًا، فَابْنُ الْمَسْجِدَ، وَقَدْ طَابَتْ بِهِ أَنْفُسُنَا، وَالْكِنَّ
رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى أَبِي وَاشْتَرَى مِنْهُمَا الْمَكَانَ، وَدَفَعَ الثَّنَّ.
وَبَنَى الْمُسْلِمُونَ الْمَسْجِدَ، وَرَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى يَعْمَلُ
بِيَدِهِ وَيَنْقُلُ اللَّيْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ:

لَئِنْ قَعَدْنَا وَالَّتِي يَعْمَلُ

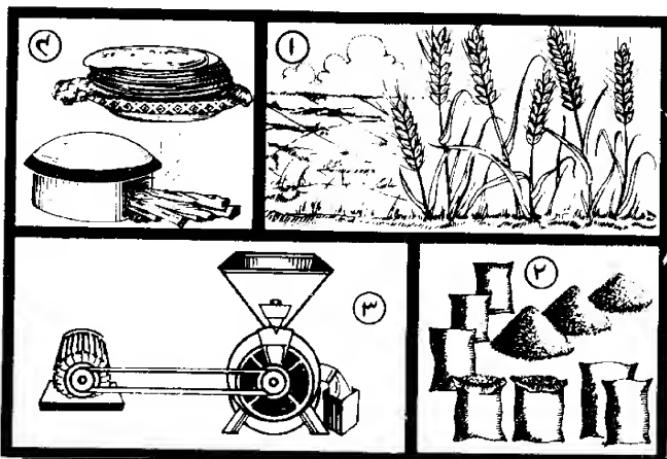
لَذَاكَ مِنَ الْعَمَلِ الْمُضِلِّ

وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُبَنُونَهُ وَيَقُولُونَ:

اللَّهُمَّ لَا يَعِيشَ إِلَّا يَعِيشَ الْآخِرَةَ فَارْحِمْ الْأَنْصَارَ وَالْمَهَاجِرَةَ

وَقَدْ زَادَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وَالْمُؤْمِنُ بَعْدَهُ، حَتَّى تَرَوْنَهُ فِي هَذَا الشَّكْلِ.

٢ كِسْرَةٌ مِّنَ الْخُبْزِ



مَرَّةً أَخَذْتُ كِسْرَةً مِّنَ الْخُبْزِ لَا كُلُّهَا فَقَالَتْ سَهْلًا
يَا مَسِيِّدِي! إِنَّكَ غَيْرَ جَائِعٍ، وَقَدْ أَكَلْتَ أَخْوَاتِي، أَفَلَا
تُحِبُّ أَنْ أَقْصَى عَلَيْكَ قِصْتِي، فَإِنَّهَا غَرِيبَةٌ وَإِنَّهَا لَذِذَةٌ
قُلْتُ. يَا! أَرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ قِصَّتِكِ، فَلَا آكُلُكِ حَتَّى

أَسْعَمَ مِنْكِ

قَالَتْ : هَلْ تَظْنُنُ يَا سَيِّدِي أَنِّي خُلِقْتُ هَكَذَا ؟ هَلْ سَمِعْتَ أَنَّ الْخَبْرَ يَبْتُ في الْحَقْلِ أَوْ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ؟ أَنْكَ تَأْكُلُ مُسْتَرْحَا يَا تِيكَ رِزْقَكَ رَغْدَا ، وَالْكِنْ لَمْ أَرَلَ أَتَحْمَلُ الْمَشَاقَ لِأَجْلِكَ ، وَأَخْرُجُ مِنْ مُصِيَّةٍ إِلَى مُصِيَّةٍ وَ مِنْ مَحْسِنٍ إِلَى مَحْسِنٍ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى يَدِكَ .

كَانَ مِنْ خَبْرِي أَنِّي كُنْتُ حَبَّةً حَنْطَةً مَعَ شَقِيقَاتِي فِي غَرَارَةٍ ، خَاءَ إِلَيْنَا رَجُلٌ ، فَأَخْذَنِي مَعَ رَفِيقَاتِي ، فَبَنَرَنَا فِي التُّرَابِ .

هَنَالِكَ فِي الْحَقْلِ أَبْصَرْتُ الدُّنْيَا وَأَصَابَتِي الشَّمْسُ ، وَكُنْتُ مَسْرُورَةً جِدًّا ، وَالْكِنْ نَزَلَ الْمَطَرُ ، وَدَخَلْتُ إِلَى بَاطِنِ التُّرْبَةِ ، وَبَقِيَتْ مَدْفُونَةً أَيَّامًا ، وَأَخْذَ جِسْمِي يَكْبُرُ وَجِلْدِي يَضِيقُ عَلَى ، حَتَّى اشْتَقَ جِلْدِي ، وَخَرَجَ مِنْهُ جُذِيرَاتٌ كَالشَّعْرِ ، ثُمَّ خَرَجَتْ وَرِيقَاتٌ شَقَّتِ التُّرْبَةَ ، وَظَهَرَتْ فَوْقَ الْأَرْضِ ، فَكُنْتُ يَا سَيِّدِي ! سُبْلَةً قَاتِمَةً عَلَى سَاقِ .

ثُمَّ أَصْبَحْتُ سُبْلَةً صَفَرَاءً فِي حَرَارَةِ الشَّمْسِ ،

وَ كُنْتُ أَرَى صَدِيقًا وَ كُنَّا تَعْدَثُ وَ بَهْرَةً طَرَابًا
وَ كَانَتْ أَيَّامًا جَيْلَةً .

وَ مَا طَالَتْ تِلْكَ الْمَدَةُ فَقَدْ جَاءَ رِجَالٌ يَحْمِلُونَ
الْمَنَاجِلَ ، فَخَصَدُوا وَ حَمَلُوا ، وَ اتَّقْلَتْ إِلَى يَدِهِ ،
وَ مَكَثَتْ أَيَّامًا .

وَ كَانَ مِنْ أَشَدِ الْأَيَّامِ فَقَدْ جَاءَ ثَرَاثٌ فَنَادَتْ
بِأَقْدَامِهَا ، وَ فَارَقَتْ السُّبْلَةَ ، وَ كُنْتُ طَرِيقًا دَلِيلًا .
مُمَّ أَخْذَنَا رِجَالٌ وَ نَذَرُونَا فِي الرِّيحِ ، فَطَارَ الْقُسْرُ
وَ بَقِيَ الْقَمْحُ .

وَ كَانَ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ كُلُّهُ: أَنَّ رَجُلًا حَلَّى إِلَى
شَيْءٍ مُمْدُورٍ مِنَ الْحَجَرِ ، فِيهِ ثَقْبٌ ، وَ كُنْتُ أَسْمَعُ لَهُ
صَوْنَا شَدِيدًا كَرِيهًا وَ جَعْجَعَةً ، فَأَلْقَانِي فِيهِ فَطَعْنَتِي
طَحْنًا ، هَلْ تَعْرِفُ اسْمَهُ يَا سَيِّدِي؟ .. ذَلِكَ هُوَ
الْطَّاحُونُ أَوِ الرَّحَى .

فَلَمَّا صِرْتُ دَيْقًا أَخَذَنِي الْجَبَازُ وَ وَضَعَنِي فِي
مَعْجَنَةٍ ، وَ غَرَبَنِي بِالْمَاءِ النَّقِيِّ ، وَ غَمَرَنِي ، حَتَّى صِرْتُ
يَعْيَنَا ، فَصَنَعَ مِنِّي كُرْكَةً .
هُنَالِكَ جَاءَتِ الْمُصِيَّةُ ، فَقَدْ دَحَانِي عَلَى حَدِيدٍ

عَمَّنْ سَمِعْنَاهُ الطَّابِقَ، لَا تَسْأَلْ يَا سَيِّدِي! عَنْ أَلَى
وَاحْتِرَاقِ فَقَدِ التَّوْتَ وَ انْكَشَّتْ، وَالْكِبَرَ الْجَازَ
لَمْ يَرْجِعْنِي وَ لَمْ يَرِقْ لِي، حَتَّى كُنْتُ رِفَاقًا .
كُلُّ ذَلِكَ فِي سَيِّلَكَ يَا سَيِّدِي، كُنْتُ أَشْتَقُ لِنَعِيمِكَ
وَأَتَعَبُ لِلذِّكَرِ، وَأَنْتَقُلُ مِنْ طَوْرٍ إِلَى طَوْرٍ، لَتَأْكُلَ
هَنِيَّاً وَ تَشْبَعَ، أَفَلَا يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَقُولَ :
«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي وَ سَقَانِي وَ جَعَلَنِي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ» .

٣ عِيَادَةُ الْمَرِيضِ

ذَهَبَ حَامِدٌ إِلَى الْمَدْرَسَةِ يَوْمَ السَّبْتِ فَوَجَدَ أَنَّ
صَدِيقَهُ حُسْنِيَاً مَا حَضَرَ فِي الْمَدْرَسَةِ، فَسَأَلَ أَخَاهُ عَلِيًّا
عَنِ السَّبْتِ، فَقَالَ: إِنَّهُ مَحْمُومٌ مِنْ يَوْمِ الْجِئْسِ، فَعَزَمَ حَامِدٌ
عَلَى أَنْ يَعُودَهُ فِي الرُّجُوعِ مِنَ الْمَدْرَسَةِ .

ذَهَبَ حَامِدٌ إِلَى بَيْتِ حُسْنِيِّ فَسَلَّمَ وَ اسْتَأْذَنَ، فَرَجَعَ
أَبُو حُسْنِيِّ، قَالَ حَامِدٌ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعُودَ صَدِيقِيِّ
حُسْنِيَاً فَقَدْ أَخْبَرَنِي عَلَى أَنَّهُ مَرِيضٌ، قَالَ أَبُوهُ: نَعَمْ!

إِنَّهُ أَصَابَتُهُ الْحُسْنَ يَوْمَ الْخَيْرِ ، وَ يُمْكِنُكَ أَنْ تَعُودَهُ .
صَعِدَ حَامِدٌ إِلَى السَّطْحِ ، وَ دَخَلَ غُرْفَةَ حُسَيْنٍ ،
فَرَأَى حُسَيْنًا مُضطَبِعًا ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِلُطفٍ وَدَنَا مِنْهُ ،
وَ قَالَ لَهُ : كَيْفَ حَالُكَ يَا أَخِي ! عَافَاكَ اللَّهُ .
قَالَ حُسَيْنٌ : قَدْ أَصَابَتِي الْحُسْنَ يَوْمَ الْخَيْرِ ، وَ كَانَتْ
شَدِيدَةً يَوْمَ الْجُوعَةِ ، وَ حَفَّتْ فِي الظَّلَلِ ، وَ الْكِفَّ أَشْكَوْ
الصُّدَاعَ وَ الدُّوَارَ ، وَ قَدْ ضَعُفتْ كَثِيرًا ، كَانَ
مَرِيضٌ مُنْذُ أَيَّامٍ ، وَ لَا أَشْتَهِي الطَّعَامَ .
قَالَ حَامِدٌ : لَا يَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَ هَلْ
عَادَكَ طَيِّبٌ ؟

قَالَ حُسَيْنٌ : نَعَمْ ! قَدْ عَادَنِي طَيِّبٌ أَمْسِ ، وَ مَوْعِدُهُ
الآتِ

وَ لَمْ يَجْلِسْ حَامِدٌ إِلَّا قَلِيلًا ، حَتَّى حَضَرَ
الطَّيِّبُ فَسَرَّ يَدَ حُسَيْنٍ ، وَ قَاسَ الْحَرَارَةَ ، وَ امْتَحَنَ
الصَّدَرَ بِالْمُسْمَعَةِ ، وَ أَبْدَى الْإِرْتِيَاحَ ، وَ عَيَّرَ فِي الْوَضْفَةِ
قَلِيلًا ، وَ قَالَ : إِنَّهُ بَارِئٌ يَحْمِدُ اللَّهَ ، وَ أَوْضَى أَبَاهُ
يَأْنَ يَحْمِيَ حُسَيْنًا الْمَاءَ الْأَرِدَ وَ الزَّيْنَ وَ الْخُرُوجَ فِي

الهواء وَ التَّعْبُ ، وَ يَسْقِيَهُ الْبَنَ وَ مَاءَ الشَّعِيرِ وَ مَاءَ
الْفَوَاكِهِ .

وَ جَلَسَ حَامِدٌ قَلِيلًا ، وَ قَالَ : إِنَّ الْعَائِدَ إِذَا
طَالَ الْجُلُوسُ عِنْدَ الْمَرِيضِ ، شَقَّ عَلَيْهِ وَ عَلَى أَهْلِ
بَيْتِهِ ، فَأَسْتَأْذِنُ وَ أَنْصَرِفُ ، وَ أَعُوذُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ غَدًا .

④ الْكِيمِيَاءُ

كَانَ الْأَوْلَادُ يَتَحَدَّثُونَ فِي اللَّيلِ وَ يَتَسَامِرُونَ ،
وَ كَانَ أَكْثَرُهُمْ حَدِيثُهُمْ عَنِ الْكِيمِيَاءِ ، وَ كَانَ إِسْمَاعِيلُ
يَقُولُ : سَمِعْتُ أَنَّ شَيْخًا يَحُولُ التُّرَابَ ذَهَبًا ، وَ يَجْعَلُ
نَقْوَدَ التِّنَكَلِ وَ الرَّصَاصِ : دَنَانِيرَ ذَهِبَةً وَ جُنُبَاتِ .
وَ صَدَقَهُ مُحَمَّدٌ ، وَ قَالَ : نَعَمْ إِنَّهُ فَنٌ ، كَانَ
النَّاسُ يَعْرُفُونَهُ ، وَ الْكِنْ اتَّرَضَ عَلَيْهِ هَذَا الْفَنُ
وَطُوِيَ ذَلِكَ السِّطَاطُ .

فَتَأْسَفَ الْأَوْلَادُ كَثِيرًا ، وَ حَزَنُوا ، وَ قَالُوا :
لَوْ رَجَدْنَا أَحَدًا يَعْرِفُ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ ، لَتَعْلَمَنَا مِنْهُ ،
وَ صِرْنَا أَغْنِيَاءَ بِدُونِ تَعْبٍ وَ مَشْقَةٍ .

وَ كَانَ أَبُوهُمْ يَمْسَعِ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : لَا تَأْسِفُوا
يَا أُولَادِي ! فَإِنِّي أَعْرِفُ الْكِيمِيَاءَ ، وَ أَتَمْ أَعْزَى النَّاسِ
عِنْدِي ، فَإِنَا أَعْلَمُكُمْ غَدًا ، وَ أَخْبُرُكُمْ بِصَنَاعَةِ الْكِيمِيَاءِ .

فَرَحَ الْأُولَادُ كَثِيرًا ، وَ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ،
وَ شَقَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْتَعْرُفُوا إِلَى الصَّبَاحِ ، فَاسْتَطَالُوا
اللَّيلَ ، وَ الْكِنَّ وَ الدَّهْمَ قَالَ لَهُمْ : لَا يُمْكِنُ تَعْلِيمُ
الْكِيمِيَاءِ إِلَّا فِي النَّهَارِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ فَنٌّ دَقِيقٌ .

نَامَ الْأُولَادُ وَ اتَّبَعُوا مُبَكِّرِينَ ، وَ لَمْ يَرُزُّ
إِسْمَاعِيلُ وَ مُحَمَّدٌ يَرِيَانُ الْكِيمِيَاءَ فِي النَّاسِ ، رَأَى
هَاشِمٌ أَهْمَّ فِي قُصْرٍ شَامِخٍ ، وَ لَبَاسٍ فَارِخٍ ، وَ قَدْ بَنَى
الْقُصْرَ ، وَ صَنَعَ الْلِبَاسَ بِالْمَالِ الَّذِي حَصَلَ لَهُ بِالْكِيمِيَاءِ .
فَصَلَّوَا الصُّبْحَ ، وَ جَلَسُوا حَوْلَ أَبِيهِمْ يَسْتَطِرُونَ
فَرَاغَهُمْ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَ أَتَمْ أَبُوهُمْ حِزْبَهُ ، وَ قَالَ :
هَلْمُوا يَا أَبْنَائِي ! خَرَجُوا مَعَهُ ، وَ قَدْ أَعْلَمُهُمُ الْإِشْتِيَاقُ
إِلَى الْكِيمِيَاءِ مِنْ أَنْ يَقْطُرُوا .
لَمْ يَرُزِّ أَبُوهُمْ يَسْبِيَّهُمْ طَرِيقًا بَعْدَ طَرِيقٍ ، حَتَّى
وَقَفَ بَيْنَ عَلَى حَقْلٍ يَحْرُثُهُ الْفَلَاحُ ، وَ فِي يَدِهِ السَّكَّةُ .

فَقَالَ الْوَالِدُ : الْكِيمِيَاءُ يَا أَوْلَادِي ! تَخْتَ سِكَّةَ الْمَحْرَاثِ .
 فَتَعَجَّبَ الْأَوْلَادُ ، فَاسْتَفْسَرُوا أَبَاهُمْ ، فَقَالَ
 الْوَالِدُ : أَمَّا أَسْعَمُكُمْ تَقُولُونَ : الْكِيمِيَاءُ تُحَوِّلُ التُّرَابَ
 ذَهَبًا ؟ أَلَا يَحْوِلُ هَذَا التُّرَابُ ذَهَبًا بَعْدَ أَيَّامٍ بَلْ
 أَغْلَى مِنَ الْذَّهَبِ ؟ وَمَا يُعْنِي الْذَّهَبُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا يَا كُلُّهُ
 النَّاسُ ؟ فَهَذِهِ الْبَذُورُ الَّتِي يَذْرَهَا الْفَلَاحُ ، وَ اجْتَهَدَ
 فِيهَا أَيَّامًا سَنَافِيَ بِحَاصِلٍ كَثِيرٍ ، وَ سَيِّرَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ بِهَذَا
 الْعَمَلِ أَضَعَافَ مَا بَذَلَ .

بِمَ مَرَّ بِهِمْ أَبُوهُمْ عَلَى مَضِيِّ كَانَ النَّاسُ فِيهِ
 عَاكِفِينَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ ، وَ الْعَرْقُ يَسِيلُ مِنْ جِبَاهِهِمْ ،
 وَ صَنَعُوا أَشْيَاءَ مُفِنِّدَةً جِدًّا تُشْرِكُهُمْ مَالًا كَثِيرًا ، وَ تَقْضِي
 لِلشَّاَسِ حَاجَاتٍ كَثِيرَةً ، فَقَالَ الْوَالِدُ : الْكِيمِيَاءُ
 يَا أَوْلَادِي ! عَرَقُ الْجِنِّينِ ، وَ كَدَّ الْجِنِّينِ ، ثُمَّ مَالَ بِهِمْ
 إِلَى حَلْقَةِ مَعْلِمٍ ، وَ إِلَى بَجْلِسٍ وَاعِظٍ ، وَ قَالَ :
 يَا أَوْلَادِي ! الْإِنْسَانُ أَغْلَى شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ ، وَ تَقْيِيفُهُ
 وَ إِصْلَاحُهُ أَفْضَلُ مِنْ تَحْوِيلِ التُّرَابِ ذَهَبًا .
 فَإِذَا تَعْلَمَ هُوَ لَأَهُوَ الْأَوْلَادُ ، وَ إِذَا اهْتَدَى هُوَ لَأَهُوَ

النَّاسُ ، كَانَ لِلْمُعْلَمِ وَالْوَاعِظِ صَدَقَةٌ جَارِيَّةٌ ، لَهُ أَجْرٌ
 كُلُّ مَا يَعْمَلُ هُوَ لَاءٌ مِنْ خَيْرٍ وَّرُبُّ ، وَ لِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ
 عَلَيْهِ لِسَيِّدِنَا عَلَيْهِ كَرَمَ اللَّهُ وَجْهَهُ :
 « يَا عَلِيٌّ ! لَأَنْ يَهْدِي اللَّهُ بِكَ رَجُلًا يَرِدُّ لَكَ مِنْ
 هُنْدِ النَّعْمٍ » .
 فَاقْتَتَحَ الْأَوْلَادُ ، وَ شَكَرُوا أَبَاهُمْ ، وَ رَجَعُوا ،
 وَ قَدْ تَعْلَمُوا الْكِبِيَّةَ .

⑤ يَوْمُ صَالِفٌ

مَا أَشَدَّ الْحَرَّا يَا لَطِيفُ ، النَّاسُ فِي يَوْمِهِمْ لَا يَخْرُجُونَ
 خَوْفَ السَّمُومِ ، وَ قَدْ اخْتَنَذُوا سُورًا مِنَ الْحَشَشِ
 يَرْسُونَ عَلَيْهَا الْمَاءَ ، وَ يَخْرُجُونَ الْمَرَاوِحَ ، وَ قَدْ سَنَوَا
 التَّوَافِذَ ، لِئَلَّا يَدْخُلَ مِنْهَا السَّمُومَ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَتَقَلَّبُونَ
 عَلَى مِثْلِ الْجُنُبِ ، هَذَا ، وَ أَهْلُ الْأَكْوَافِ الْحَقِيرَةِ
 وَ الْخُصُصِ وَ الْبَيُوتِ الْمُسْتَهَنَةِ مِنَ الْلِّينِ أَنْعَمُ فِي الصَّيفِ
 مِنْ أَهْلِ الْقُصُورِ الْمُسْتَهَنَةِ مِنِ الْجَصْنِ وَ الْأَجْرِ ، فَإِذَا
 رَأَوْا الْمَاءَ عَلَى الْأَرْضِ وَ الْجُذْرَانِ ، وَ هَبَّتْ لَهُ حَمَّةٌ
 مِنْ سَمُومٍ تَحَوَّلُتْ تَفَحَّةً مِنْ تَسْبِيمٍ ، وَ حَسِبُوا أَنَّهُمْ فِي

جَنَّةٍ وَّ نَعِيمٍ .

إِذْ تَفَعَّتْ دَرَجَةُ الْحُرَارَةِ إِلَى مِائَةٍ وَّ ثَمَانِيْ عَشَرَةَ
نَقْطَةَ ، فَعِيلَ صَبْرُ النَّاسِ ، وَ سَافِرَ الْأَغْنِيَاءُ إِلَى قُلْلِ
الْجِبَالِ حَيْثُ يَصْطَافُونَ وَ يَقْضُونَ شَهْرَيْ مَايُوْ وَ
يُونِيْسَهَ حَقِّيْ إِذَا تَرَكَتِ الْأَمْطَارُ ، وَ لَطْفُ الْحَرَّ هَبَطُوا
إِلَى الْمَدَنِ وَ السُّهُولِ .

وَ بَقَى أَوْسَاطُ النَّاسِ ، وَ أَهْلُ الْأَشْعَالِ يَتَحَمَّلُونَ
الْحَرَّ ، وَ يَصِرُّونَ لِلْسَّمْوُمِ .

الآن رَكَدَتِ السَّمْوُمُ ، وَ مَالَتِ الشَّمْسُ ،
وَ طَابَ الْحُرُوجُ ، وَ اتَّسَرَ النَّاسُ فِي الْبَسَاطِينِ
وَ الْمِيَادِينِ وَ شَوَّاطِئِ الْأَهَارِ يَتَرَوَّحُونَ وَ يَتَزَهَّونَ ،
فَلَا يَجِدُ فِي الْبَيْتِ إِلَّا شَيْخًا هَرِمًا أَوْ امْرَأَةً أَوْ
عَاجِزًا ، وَ مَنْ حَبَسَهُ شُغْلٌ أَوْ مَرْضٌ أَوْ حَاجَةً ،
وَ قَدْ تَسْتَهِنُ السَّمْوُمُ إِلَى اللَّيْلِ ، فَلَا يَسْتَرِيحُ النَّاسُ
وَ يَتَقَلَّبُونَ عَلَى الْغِرَاشِ ، وَ قَدْ يَحْتَسِسُ الْهَوَاءُ ، فَيَسِيلُ
الْعَرْقُ ، وَ تَسْرَكُ الْمَرَاوِحُ ، وَ يَطِيرُ النَّوْمُ .



النَّطَافَةُ ④

طَاهِرُ ابْنُ فَلَاجَ ، يَسْكُنُ أَبُوهُ فِي الْقَرِيَةِ ،
وَ يُرْسِلُ إِلَى طَاهِرٍ قِيلَيَاً مِنَ النَّقُودِ كُلَّ شَهْرٍ .
وَ الْكِنَّ طَاهِرًا وَ لَدُهُ مُدَبِّرٌ عَاقِلٌ ، ثَيَابَهُ مُتَوَاضِعَةٌ ،
وَ الْكَتَمَّ دَائِمًا نَظِيفَةٌ مَرْتَبَةٌ لَا تَرَى فِيهَا وَسَخَا ، يَعْسِلُهَا
يَدِهِ كُلَّ جُمْعَةٍ ، وَ عِنْدَهُ إِبْرَةٌ وَ خَيْطٌ ، فَإِذَا تَحَرَّقَ ثُوبٌ
خَاطِهُ بِالْأَبْرَةِ أَوْ رَقَعَهُ بِنَفْسِهِ .

وَ لَا يَخْجُلُ إِذَا خَرَجَ فِي ثُوبٍ مَرْقُوعٍ ، وَ الْكِنَّهُ
يَخْجُلُ إِذَا خَرَجَ فِي ثُوبٍ وَسِخٍ ، وَ مَا رَأَاهُ أَصْدِقَاؤُهُ
فِي ثَيَابٍ وَسِخَةٍ أَبْدَا ، فَيَحْسِبُونَ أَنَّهُ عَنِّي ، عِنْدَهُ ثِيَابٌ
كَثِيرَةٌ ، وَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا أَرْبَعَ بِذَلَّاتٍ .

وَ إِذَا دَخَلْتَ فِي حُجْرَتِهِ رَأَيْتَهَا نَظِيفَةً مُتَطَبِّعَةً
وَ رَأَيْتَ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَحْلِهِ ، فَلَا يَضِيقُ وَقْتُهُ فِي تَفَقُّدِ
الْأَشْيَاءِ وَ التِّمَاسِهَا ، وَ إِذَا دَخَلَ فِي الظَّلَامِ قَدَرَ عَلَى أَنْ
يَأْخُذَ مَا يُرِيدُهُ لِأَنَّهُ فِي مَحْلِهِ .

وَ كُتُبُهُ فِي نِظَامٍ دَائِمًا ، وَ هِيَ نَظِيفَةٌ لَا تَرَى
عَلَيْهَا غُبَارًا وَ لَا تُرَابًا ، وَ لَا تَرَى فِيهَا أَثَرَ دُهْنٍ

وَمَسْحَةَ يَدِهِ ، وَلَا كِتَابَهُ وَمَرِينَاهَا ، كَأَنَّهُ اشْتَرَاهَا الْيَوْمَ ،
وَلَا يَكْتُبُ اسْمَهُ إِلَّا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ بِخَطْهِ جَيِّدٍ .
وَإِذَا قَامَ طَاهِرٌ فِي الصَّبَاجِ تَوَضَّأَ لِصَلَةِ الصُّبْحِ
وَاسْتَكَ ، وَنَظَفَ أَسْنَاهُ .

وَيَغْتَسِلُ طَاهِرٌ كُلَّ يَوْمٍ فِي الصَّيفِ ، وَأَكْثَرَ
مِنْ مَرَّةٍ فِي أُسْبُوعٍ فِي الشَّتَاءِ ، لِذَلِكَ تَرَاهُ يَمْرُضُ قَلِيلًا
وَهُوَ قَوِيٌّ شَيْطَنٌ .

وَفِي فَضْلِ طَاهِرٍ وَلَدُهُ غَنِيٌّ اسْمُهُ شَاهِدٌ ، وَهُوَ
ضَدُّ طَاهِرٍ فِي النَّظَافَةِ وَالنَّظَامِ ، قِبَابِهِ عَالِيَّةٌ جَيِّدَةٌ
وَالكِتَنَّاهَا فِي الْغَالِبِ وَسِخَنَهُ دَنْسَةٌ ، وَهُوَ يُعِيرُ مَلَاسِهَ
سَرِيعًا ، وَالكِتَنَّهُ يُوَسْخِنَهَا سَرِيعًا

وَكَذِلِكَ كُتُبَهُ دَائِنًا جِلْدُهَا مَشْفُوقٌ ، وَوَرَقُهَا
مَخْبُوقٌ ، كَأَنَّ طِفْلًا عَبَثَ بِهَا أَوْ مَشَتَ عَلَيْهَا سَكَّةُ
الْفَلَّاحِ أَوْ دَامَسَهَا مَرْكَبَةً .

وَكِتَبُهُ وَدَفَائِرُهُ مَغْرِضُ ، أَوْ مَتْحَفٌ ، تَرَى فِيهَا
رُسُومًا وَصُورًا ، وَتَوْقِيعَاتٍ وَمَرِينَاتٍ ، وَأَشْكَالًا
رِيَاضِيَّةً وَخَرَائِطَ جُغرَافِيَّةً .

وَإِذَا قُلْتَ لِشَاهِدٍ : مِلَادًا لَا تُخَافِظُ عَلَى النَّظَافَةِ
وَالنَّظَامِ ؟ قَالَ : إِنَّهُ يَضِيقُ فِي ذَلِكَ وَقْتٌ كَثِيرٌ، وَالْوَقْتُ
شَنِيْهُ عَالٍ ١

وَتَرَاهُ يَضِيقُ وَقْتًا طَوِيلًا فِي تَفَقُّدِ الأَشْيَاءِ ،
وَتَغْيِيرِ الْمَلَابِسِ بِسُرْعَةٍ ، وَلَا يَفْطَنُ إِلَيْهِ .

الْحَنِينُ إِلَى الشَّهَادَةِ ⑦

١

لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ الْخُرُوفَجَ إِلَى بَدْرٍ لِيَقَاتِلَ
الْمُشْرِكِينَ وَخَرَجَ غَلَامٌ اسْمُهُ عُمَيْرٌ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ
عُمُرَهُ سِتُّ عَشَرَةَ سَنَةً .

وَكَانَ عُمَيْرٌ يَخَافُ أَنْ لَا يَقْبِلَهُ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ، لِأَنَّهُ مُوْ
صَغِيرٌ ، فَكَانَ يَخْتَمِدُ أَنْ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ ، وَكَانَ يَتَوَارَى .
وَالْكِنْ رَأَاهُ أَخْوَهُ الْأَكْبَرُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ
فَقَالَ لَهُ : مَالِكَ يَا أَخِي ؟ لِأَيِّ شَيْءٍ تَتَوَارَى ؟ .
قَالَ عُمَيْرٌ : أَخَافُ أَنْ يَرَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ

(١٨)

فَاقْ صَغِيرٌ ، وَ أَنَا أُحِبُّ الْخَرْفَاجَ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَرْزُقُنِي
الشَّهَادَةَ .

وَ كَانَ كَمَا خَافَ عُمِيرٌ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ
اللَّهِ مُحَمَّدٌ رَأَى أَنَّهُ صَغِيرٌ ، وَ الْحَزْبَ لَيْسَتْ مِنْ شُغْلِ
الْأَطْفَالِ وَ الْغِلْمَانِ ، وَ مَا يَصْنَعُونَ فِي الْحَزْبِ ، وَ إِنَّهَا
كَبِيرَةٌ عَلَى الرِّجَالِ ؟

وَ لِكِنَّ عُمِيرًا مَا أَحَبَّ أَنْ يَنْصَرِفَ ، وَ يَقْعُدُ
فِي الْبَيْتِ ، أَوْ يَلْعَبُ مَعَ أَتْرَابِهِ ، وَ أَصْدِيقَاهُ فِي الْمَدِينَةِ
وَ إِنَّهُ لَيُرِيدُ الشَّهَادَةَ فِي سَيِّلِ اللَّهِ ۖ

وَ لِكِنَّ عُمِيرًا لَا يَعْصِي رَسُولَ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ، وَ لَا
يُعَالِدُ ، فَإِنَّهُ لَا يُرِيدُ إِلَّا رِضَاَ اللَّهِ ، وَ هَلْ يَنَالُ رِضَاَهُ
اللَّهُ إِذَا عَصَى رَسُولَ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ؟ أَبَدًا ۖ

كَانَ عُمِيرٌ فِي حَيْرَةٍ وَ حُزْنٍ شَدِيدٍ ، هُوَ لَمْ يَلْعُنْ
سِنَّ الْقِتَالِ ، وَ لِكِنَّهُ يَحْنُّ إِلَى الشَّهَادَةِ ، وَ إِلَى الْمَوْتِ
فِي سَيِّلِ اللَّهِ ، وَ يَحْنُّ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَ يَرَاهَا عَيْنَ بَعِينَةٍ ،
وَ لِكِنَّ كَيْفَ يَصْلُ إِلَيْهَا ، وَ هُوَ لَمْ يَلْعُنْ سِنَّ الْقِتَالِ ؟

كُلُّ ذِكْرٍ ثُقُلَ عَلَى عُمَيْرٍ ، وَ كَانَ قَلْبُهُ صَغِيرًا
 فِي كَيْفِيَّةِ الْمُؤْمِنِ ، وَ لَمَّا بَكَى عُمَيْرٌ رَّقَ لَهُ قَلْبٌ رَّسُولُ اللَّهِ مُصَلِّي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ مُصَلِّي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَقِيقًا رَّفِيقًا فَأَجَازَهُ .
 لَا تَسْأَلُوا عَنْ فَرَحَ عُمَيْرٍ وَ سُرُورٍ وَ لَمَّا أَجَازَهُ
 الَّذِي مُصَلِّي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَهَا نَالَ تَذْكِرَةَ الْجَنَّةِ .
 وَ خَرَجَ عُمَيْرٌ مَعَ أَخِيهِ وَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ،
 وَ كُلُّهُمْ كِبَارٌ وَ أَقْوَيَاءُ ، وَ كَانَ كَمَا أَرَادَ ، فَقَدْ قُتِلَ
 شَهِيدًا فِي الْفَزْوَةِ ، وَ سَبَقَ كَثِيرًا مِنَ الشَّبَّانَ وَ الشَّيْوخَ .
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْ عُمَيْرٍ وَ أَرْضَاهُ .

﴿٨﴾ الْحَسِينُ إِلَى الشَّهَادَةِ

وَ لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ مُصَلِّي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أُحْمَدٍ لِِالْقِتَالِ
 قَرِئَشٌ خَرَجَ مَعَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ غَلِيَانًا يَجْتَبُونَ الْجِهَادَ فِي
 سَيْلِ اللَّهِ ، وَ كَانُوا صِفَارًا ، لَمْ يَتَجَاوِزُوا الْخَامِسَةَ عَشَرَةَ
 مِنْ عُمُرِهِمْ ، فَرَدَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ مُصَلِّي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَنَّهُمْ صِفَارٌ
 لَمْ يَنْلُفُوا مِنَ الْقِتَالِ ، فَيَكُونُونَ كَالْمَنَاعَ ، وَ يَشْغُلُونَ

الْكَبَارَ أَيْضًا مُّرَاقِبُوهُمْ وَ يَخْرُسُوهُمْ .
 وَ كَانَ فِي هُوَلَاءِ الْغِلَانِ وَلَدًا، اسْمُهُ رَافِعٌ بْنُ
 خَدِيجَةِ ، وَ هُوَ دُونَ الْخَامِسَةِ عَشَرَةَ مِنْ سِنِّهِ ، وَ كَانَ
 يَطَّاولُ مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ ، لِيُظْنَ النَّاسُ أَنَّهُ كَبِيرٌ، قَدْ
 بَلَغَ سِنَّ الْقِتَالِ ، فَلَا يُقْطَنُ لِصِفَرِ سِنِّهِ وَ ضُعْفِهِ .
 وَ الْكِنْ رَسُولُ اللَّهِ مُّصَلِّي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدَهُ ، لِأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّهُ
 ضَغِيرٌ، وَأَنَّهُ يَطَّاولُ ، فَشَفَعَ لَهُ أَبُوهُ ، وَ قَالَ : يَا
 رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنِي رَافِعًا رَامٌ، فَأَذِنْ رَسُولُ اللَّهِ مُّصَلِّي اللَّهُ عَلَيْهِ
 فَقَرِحَ رَافِعٌ كَثِيرًا لَمَّا أَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ مُّصَلِّي اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَ خَرَجَ مَعَ الْمُجَاهِدِينَ ، وَ هُوَ أَكْثَرُ سُرُورًا مِنْ
 غِلَانٍ يَخْرُجُونَ إِلَى الْمُصَلَّى يَوْمَ الْعِيدِ فِي لِبَاسٍ جَدِيدٍ .
 وَ كَانَ وَلَدُ آخَرُ اسْمُهُ سَمْرَةُ بْنُ جَنْدُبٍ فِي سِنِّهِ
 رَافِعٌ ، فَعَرِضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مُّصَلِّي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ رَافِعٍ فَرَدَهُ
 رَسُولُ اللَّهِ مُّصَلِّي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِصِفَرِهِ أَيْضًا ، فَقَالَ سَمْرَةُ : لَقَدْ
 أَجَزَتْ رَافِعًا وَ رَدَذَنِي ، وَ لَوْ صَارَ عَنِّي لَصَرَّ عَنْهُ .
 فَأَصَرَّ رَسُولُ اللَّهِ مُّصَلِّي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ رَافِعًا بِالْمُصَارِعَ
 فَصَرَّعَ سَمْرَةَ رَافِعًا كَمَا قَالَ ، وَ اسْتَحْقَ أَنْ يُسْمَحَ لَهُ

يَا الدُّخُولِ فِي صَفَّ الْمُجَاهِدِينَ .
 فَأَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ مَلِكَهُ سَمَرَّةَ لِلْخُرُوجِ ، خَرَجَ سَمَرَّةَ ،
 وَ قَاتَلَ يَوْمَ أَحْدٍ فِي سَيِّلِ اللَّهِ .
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْ رَافِعٍ وَ سَمَرَّةَ ، وَرَزَقَنَا أَبْيَاهُمَا .

٩ كُنْ أَحَدَ السَّبَعَةِ

كَانَ الْيَوْمُ الْخَامِسُ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ يُونُوْنُ يَوْمًا
 شَدِيدَ الْحَرَّ ، وَ كَانَ يَوْمَ عُطْلَةً ، فَكَانَ مُحَمَّدًا وَ أَحْمَدُ
 وَ عُمَّانُ فِي الْبَيْتِ ، وَ كَانُوا مَعَ أَيْمَمٍ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ
 فِي النَّهَارِ ، وَ كَانُوا يَتَأَفَّقُونَ مِنَ الْحَرَّ ، وَ يَتَقْلِبُونَ
 عَلَى الْفَرَاسِ كَأَنَّهُمْ عَلَى الْجَنَّةِ
 قَالَ مُحَمَّدٌ : يَا لَطِيفُ ! مَا أَشَدَّ الْحَرَّ ! .

قَالَ أَوْهُمْ سَلِيْمَانُ : أَتَعْرِفُ يَا مُحَمَّدًا كَمْ تَبْعُدُ
 الشَّمْسُ مِنَ الْأَرْضِ ؟
 مُحَمَّدٌ : لَا ! يَا أَنِي ، وَ الْكِتَّيْ أَعْرِفُ أَنَّهَا بَعِيْدَةٌ
 جِدًا .

سَلِيْمَانُ : سَقَرَأُ فِي الْمَرْسَأِ أَنَّ الشَّمْسَ تَبْعُدُ مِنَ

الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعِينَ مَلْيُونًا مِنَ الْأَمْيَالِ ، وَالْخَرْمَ
كَمَا تَرَى ، فَكَيْفَ إِذَا دَنَتِ الشَّمْسُ حَتَّى تَكُونَ مِقْدَارَ
مِيلٍ ؟

مُحَمَّدٌ : أَعْيَادُ بِاللَّهِ ! وَمَتَى هَذَا يَا أَبَيْ ؟
سَلِيْمَانُ : ذُلْكَ يَا بُنْيَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ
لِرَبِّ الْعَالَمِينَ .

أَحْمَدُ : وَ كَيْفَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا أَبَتِ ؟
سَلِيْمَانُ : يَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَنْدِرٍ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرْقِ ، فَهُمْ
مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ ، وَ مَنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَيْهِ
وَ مَنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ ، وَ مَنْهُمْ مَنْ يَلْجِمُهُ
الْعَرْقُ إِلَجَامًا .

عُمَّانُ : أَوْ لَيْسَ هَنَالِكَ ظِلٌّ أَوْ مَكَانٌ يَسْتَطِلُّ
بِهِ النَّاسُ ؟

سَلِيْمَانُ : بَلَى يَا وَلَدَنِي ! فَهَنَالِكَ ظِلٌّ لَا يَنْعَمُ بِهِ
إِلَّا سَبْعَةٌ مِنَ الرِّجَالِ .

الْأَوْلَادُ : وَ مَنْ أُولَئِكَ السَّعَادَاءِ يَا أَبَانَا ؟ لَعَلَّنَا
نَجْهَدُ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ .

سُلَيْمَانُ : يَا أَوْلَادِي ! يَسْعَى لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَجْتَهِدَ أَنْ
يَكُونَ أَحَدَ السَّبْعَةِ ، وَ أَنَا أَعْدُ لَكُمْ أُولُئِكَ السَّبْعَةَ :
(١) إِمَامٌ عَادِلٌ .

وَ قَطَعَ عَلَيْهِ أَحَدُ الْأَوْلَادِ ، وَ قَالَ : وَ مَنْ
هُوَ الْإِمَامُ ، أَهْذَا الَّذِي يُصْلِي بِالنَّاسِ ؟
سُلَيْمَانُ : هُوَ أَيْضًا عَلَىٰ خَيْرٍ، لِكِنَّ الْمُرَادُ هُنَا
أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ .

وَ ابْتَدَرَ الْأَوْلَادُ ، وَ قَالُوا : قَدْ فَهِنَا، هَذَا
كَالخُلُقُ الْأَرْبَعَةِ ، وَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَ قَدْ سَمِعْنَا
كَثِيرًا مِنْ حِكَمَاتِهِمْ مِنْ أَمْنًا .

١٠ كُنْ أَحَدَ السَّبْعَةِ

قَالَ سُلَيْمَانُ : وَ الثَّانِي يَا أَوْلَادِي ! شَابٌ نَشَأَ فِي
عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

هُنَالِكَ وَقَفَ الشَّيْخُ ، وَ قَالَ : يُمْكِنُ كُلَّ وَاحِدٍ
مِنْكُمْ يَا أَوْلَادِي ! أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الشَّيْبَابُ السَّعِيدُ ،

وَ الْكِنْ إِذَا صَيَّعْتُمْ فَرَصَةَ الشَّبَابِ ، فَلَنِسَ لَكُمُ الْأَحْسَرَةُ وَ الدَّامَةُ .

(٣) رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعْلَقٌ فِي الْمَسَاجِدِ .

قَالَ الْأَوْلَادُ : هُوَ كَالشَّيْخِ عَبْدِ الْغَنِيِّ فِي حِينَا ، فَإِنَّهُ لَا يَرْتَاحُ إِلَّا إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَ لَا تَفُوتُهُ جَمَاعَةُ ، وَ لَا نَظِهَرُهُ يَسْتَمِعُ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ .

قَالَ سُلَيْمَانُ : لَا يَا أَوْلَادِي ! وَ لِكِنَّهُ مُحَافِظٌ عَلَى الصَّلَاةِ وَ الْجَمَاعَةِ ، وَ فَذَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ مَا فَانَّهُ صَلَاةً فِي جَمَاعَةٍ مُّذْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ أَوْ أَكْثَرَ .

(٤) رَجُلَانِ تَحَاوَيَا فِي اللَّهِ ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ ، وَ تَفَرَّقَا عَلَيْهِ .

وَ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَرَوْهُمَا ، فَانْظُرُوْا إِلَى الشَّيْخِ صَالِحِ وَ الشَّيْخِ حَمْزَةَ ، فَهُدَا مِنَ الْمُهْنِدِ ، وَ ذَلِكَ مِنْ بُخَارَا ، وَ هُمَا أَخْوَانٌ فِي اللَّهِ .

وَ يَمْكُنُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَنَالَ هُذِهِ الْفَضْيَلَةَ ، وَ ذَلِكَ بِأَنْ يَخْتَارَ مِنْ صَفَّهُ وَ رُفْقَتِهِ الصَّالِحَ مِنْ الْأَوْلَادِ فِي صَادِقَهُ . وَ يَجْهِهُ أَنْ تَكُونَ صَدَاقَتُهُ لِلَّدِيْنِ .

(٥) وَ رَجُلٌ اقْتَدَى بِيُوسُفَ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ سَلَامٌ) فِي الْعِفَّةِ وَ الْأَمَانَةِ، وَ قَدْ سَيِّعُتْ قِصَّتُهُ .
قَالَ الْأَوْلَادُ : نَعَمْ !

(٦) وَ رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ
ثَمَالُهُمْ مَا تُتْقِنُ يَمِينَهُ .

وَ ذَلِكَ مِثْلُ جَدِّكُمْ ، فَإِنَّا لَمْ نَعْرُفْ بِرَبِّهِ وَ إِحْسَانَهِ
إِلَى الْمُسَارِكِينَ وَ الْمُضَعَّفِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَقَدْ
جَاءَتِ الْعَجَازِزُ وَ الْأَرَاملُ يَنْكِيْسَهُ ، وَ يَذْكُرُونَ خَيْرَهُ
وَ بَرَّهُ ، وَ قَدْ أَخْبَرَنِي أَشْرَافٌ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْحَرَقَ أَنَّهُمْ
كَانُوا يُوَاسِيْهِمْ ، وَ يَصِلُّهُمْ بِمَعْرُوفٍ كُلَّ شَهْرٍ ، وَ لَمْ نَعْلَمْ
ذَلِكَ أَهْلَ الْيَتِيمِ .

(٧) وَ رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ حَالِيَا فَقَاضَتْ عَيْنَاهُ .
قَالَ الْأَوْلَادُ : أَمَّا نَحْنُ فَنَجْهَدُ جَمِيعاً أَنْ يَكُونَ
شَبَانَا شَأْوَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَ نَجْهَدُ فِي عَيْنِ ذَلِكَ
مِنَ الْفَضَائِلِ أَيْضًا ، وَ لَعَلَّنَا يَا أَبَانَا إِذَا جَمَعْنَا مِنْهَا خَصَالًا
نَنَالُ بِهَا مَكَانًا خَاصًا فِي ذَلِكَ الظَّلَّ أَيْضًا ، فَقَرُّقُ بَيْنَ
مَنْ يَأْتِي بِفَضِيلَةٍ ، وَ بَيْنَ مَنْ يَأْتِي فَضَائِلَ .

سَلِيمَانُ : هُوَ كَذِيلُكَ . « إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ ، وَ لَا تُظْلِمَ نَفْسَ شَيْئًا » .

الْعَيْنُ ⑪

— ١ —

الْعَيْنُ مِنْ بَعْجَابِ صُنْعِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَقَدْ خَلَقَهَا
اللَّهُ تَعَالَى مِنْ آةً صَافِيَةً تَتَحَرَّكُ بِهِنَا وَ شَمَالًا ، وَ قَوْقَ
وَ تَحْتُ ، يَنْظُرُ بِهَا الْإِنْسَانُ إِلَى جَمِيعِ الْجِهَاتِ ، مُمَّ وَضَعَهَا
فِي بَحْرِ صُلْبٍ مِّنَ الْعَظِيمِ ، وَ جَعَلَ عَلَيْهَا مِنَ الْجُفُونِ
غَطَاءً يَنْفَضِطُهَا مِنَ الْأَذَى ، وَ حَاطَهَا بِأَهْدَابٍ مِّنَ الشَّعْرِ
لِتَكُونَ سِيَاجًا يَذْبُثُ عَنْهَا الذِّبَابَ وَ الْبَعْوضَ وَ الْفُسَارَ
الَّتِي تَدْخُلُ الْعَيْنَ ، فَتُسَبِّبُ لَهَا الْأَلَمَ وَ الْمَرْضَ وَ سُلْطَانَ
عَلَيْهَا مَاءً جَارِيًّا يَغْسِلُ مَا يَدْخُلُ فِيهَا مِنَ الْأَوْسَاخِ .
وَ الْعَيْنُ عُرْضَةٌ لِكُثُرٍ مِّنَ الْأَمْرَاضِ ، كَالْمَدُورُ
وَ قَصْرِ النَّظَرِ ، وَ قَدْ عَمِّ هَذَا الْمَرْضُ الْأَخِيرُ فِي هَذَا
الزَّمَانِ ، فَلَجَأَ النَّاسُ حَتَّى الْأَطْفَالُ إِلَى اسْتِعْمَالِ مَنْظَرَةٍ ،
وَ لِلْإِجْتِنَابِ عَنْ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ يَحْسُنُ الْأَعْزِالُ عَنْ

الْغُبَارِ وَ الْأَتْرِيَةِ ، وَ يَحْسُنُ التَّجَوُّلُ فِي الْأَمَاكِنِ
الْفَسِيْحَةِ ، وَ كَثْرَةُ غَسْلِ الْوَجْهِ بِالْمَاءِ الصَّافِيِّ ، فَإِنَّهُ
يَجْحُلُ الْعَيْنَ ، وَ يُنْعِيْهَا مِنَ الْأَوْسَاخِ وَ الْقَدَنِ ، وَ لِذَلِكَ
كَانَ الْوُضُوءُ خَمْسَ مَرَّاتٍ كُلَّ يَوْمٍ - خُصُوصًا فِي
الصَّبَاحِ عِنْدَ الْقِيَامِ - نَافِعًا جِدًّا .

وَ مَوَاقِيلُهُ الْقِرَاءَةُ لَيْلًا فِي التُّورِ الْضَّعِيفِ تُؤْثِرُ
فِي النَّظَرِ تَأثِيرًا كَثِيرًا ، وَ تَضُرُّ بِهِ ضَرَرًا عَظِيمًا ، فَعَلَى
مَنْ أَجَاهَهُ الْمُتْرُورَةَ إِلَى ذَلِكَ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مِنَ الْمَاصِيْحِ
مَا كَانَ ذَا تُورٍ رَّاءِقٍ مُعْتَدِلٍ غَيْرِ سَاطِعٍ وَ لَا
ضَعِيفٍ .

وَ الْعَيْنُ جَوْهَرَةُ غَالِيَةٍ لَا يَمْكُنُ أَنْ تُشَرِّقَ بِالْمَالِ ،
وَ هَا يَتَمَكَّنُ الْإِنْسَانُ بِحَمَالِ الْطَّبِيعَةِ ، وَ يَقْضِي بِهَا
حَاجَاتٍ فِي نَفْسِهِ ، وَ يَكُونُ عُضْوًا عَامِلًا ثَقِيقًا مِنْ
أَعْضَاءِ الْأَسْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَ إِذَا فَقَدَ الْإِنْسَانُ بَصَرَهُ
حَرَمَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ تَعْيِمِ الدُّنْيَا وَ حَمَاسِهَا ، فَكَانَمَا
أَظْلَمَ لَهُ الْعَالَمُ ، وَ كَانَ كَلَّا عَلَى غَيْرِهِ ، وَ رُبَّمَا كَانَ
عِيَالًا عَلَى عَصَمَ حَقِيرَةٍ لَا يَمْشِي بِغَيْرِهَا .

الْعَيْنُ ⑯

— (٢) —

وَلِذلِكَ كَانَتِ الْعَيْنُ شَمِيمَةً غَالِيَةً وَنَعْمَةً جَلِيلَةً، حَتَّى
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ
عَبْدِي بِحَبْلِيَّتِهِ فَصَبَرَ، عَوَضْتُهُ مِنْهَا الْجَنَّةَ، يُرِيدُ عَيْنَيْهِ.
وَلَا يَلْزُمُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ إِذَا فَقَدَ بَصَرَهُ
عَاطِلًا ضَائِعًا ، فَلَقَدْ فَاقَ كَثِيرًا مِنَ الْعُمَيَّانِ كَثِيرًا مِنْ
أَهْلِ الْبَصَرِ فِي الْعِلْمِ، وَأَفَرَّتْ لَهُمُ الدُّنْيَا بِالْفَضْلِ ،
كَالْمَفْسُرِ قَاتَدَةَ، وَالْمُحَدِّثِ حَمَادَ بْنِ زَيْدٍ ، وَالْفَقِيقِ زَيْدِ
الْبَصْرِيِّ؛ وَالنَّحْوَيَّ أَنَّ جَعْفَرًا ، وَالْأَدِيبَ أَنَّ الْعَلَاءَ
الْمَعْرَى ، وَالشَّاعِرَ بَشَّارَ بْنِ بُرْدٍ ، وَإِمَامَ التَّجْوِيدِ
الْإِمَامَ الشَّاطِئِ .

وَمِنْ حَقِّ هَذِهِ النَّعْمَةِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ
وَأَنْ يَضْنَنَ بِهَا عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
« يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ، وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ »
وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَنْ يُرِيقَ
دَمَهَا فِي خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ .

(٢٩)

« لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ اللَّهُ مِنْ قَطْرَقَيْنِ وَ أَفْرَيْنِ :
قَطْرَةٌ دَمْوِعٌ مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَ قَطْرَةٌ دَمٌ هُرَاقٌ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ ، وَ أَمَّا الْأَثْرَانِ : فَأَمْثَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَ أَمْثَرَ
فِي فَرِيْضَةٍ مِّنْ فَرَائِضِ اللَّهِ » .

وَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ إِنِّي
أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ،
وَ مِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَ مِنْ عَيْنٍ لَا تَدْمَعُ ، وَ مِنْ
دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ ، وَ مِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا .



١٣ أدب المعاشرة

أسلك مع الناس أدب
 و لا تطاول نسب
 العز في الأمانة
 لا تعجب الجليس
 لا تكثر العتاب
 فكثرة المعاتبة
 و إن حللت مجلسا
 فاقصد رضا الجماعة
 و قل من الكلام
 كرايق الأشعار
 و اترك كلام السفلة
 و لا تكون ملحاها
 فكثرة المحبوب
 نوع من الجنون

تر من الدهر العجب
 و لا تفاخر بحسب
 والكيس في الفطانة
 لا توحش الآيسا
 تفري الأصحابا
 تدعوا إلى المجانة
 بين سراة رؤسا
 و كن غلام الطاعة
 ما راق بالمقام
 و طيب الأخبار
 و النكت المبتذلة
 و اجتثب المزاحا

١٤ عِيدُ الْأَضْحَى

كَانَ الْيَوْمُ الْآخِرُ مِنْ شَهْرِ ذِي القُعْدَةِ ، وَكَانَ الْيَوْمُ التَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ مِنَ الشَّهْرِ ، رَأَى الْهِلَالَ ، وَكَانَ دِقِيقًا جِدًّا ، وَمَا رَأَيْتُ إِلَّا يَجْتَهِدُ وَيَحْثُثُ ؛ وَرَأَيْتُ وَالدِّيْنِ يَقُولُ وَيَدْعُو ، قُلْتُ لَهُمْ مَاذَا تَقُولُونَ فِي دُعَائِكُمْ يَا أَيُّهُمْ ؟ قَالَ وَالدِّيْنِ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ : « اللَّهُمَّ أَهْلِهِ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ ، رَبِّنَا وَرَبِّكَ اللَّهُ ، هِلَالَ رُشْدٍ وَخَيْرٍ ». فَتَعَلَّمَتُ مِنْ وَالدِّيْنِ وَ حَفْظَتُهُ .

وَظَنَّتُ أَنَّ الْعِيدَ عَدًّا ، فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَنَّ الْعِيدَ بَعْدَ تِسْعَةِ أَيَّامٍ ، فَإِنَّ عِيدَ الْأَضْحَى الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنَ الشَّهْرِ عَطَّلَتِ الْمَدْرَسَةُ ، وَأَخْبَرَنِي الْمُعْلَمُ أَنَّ الْحُجَّاجَ يَذْهَبُونَ الْيَوْمَ إِلَى مَنْحَى حَيْثُ يَسْتَوْنَ ، وَهَذَا الْيَوْمُ يُسَسَّيْرُ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ . وَفِي صَبَّاجِ الْيَوْمِ التَّاسِعِ ، وَهُوَ يَوْمُ عَرَقَةَ ، يَذْهَبُ الْحُجَّاجُ إِلَى عَرَفَاتٍ ، وَيَظْلَمُونَ هُنَالِكَ يَذْهَبُونَ وَيَذْكُرُونَ

الله ، وَيَذْهَبُونَ مِنْهَا إِلَى الْمُزَدَّلَةِ وَيَسْتَوْنَ هُنَالِكَ . وَفِي
صَبَاحِ الْيَوْمِ الْعَاشِرِ يَرْجِعُونَ إِلَى مَنْهَا وَيَنْحَرُونَ ،
وَذَلِكَ يَوْمُ التَّغْرِيرِ وَهُوَ يَوْمُ الْعِيدِ .

وَكَانَ أَنِّي اشْتَرَى بَقَرَةً سَيِّئَةَ الْذَّيْنِ ، قَالَ : فِيهَا
سَبْعَةُ سِهَامٍ : إِثْنَايَنِ لِي وَلِأَمْكَ ، وَوَاحِدٌ لِكَ ، وَأَرْبَعَةٌ
لِأَخْوَيْكَ وَأَخْيَتِكَ .

وَكَانَ أَنِّي يَغْلِقُهَا وَيَسْقِيَهَا بِنَفْسِهِ ، وَقَالَ : فِي ذَلِكَ
فَضْيَلَةٌ وَأَجْرٌ .

وَالْيَوْمِ الْعَاشِرِ غَيَّرْنَا الْبَلَاسَ ، وَكَانَ أَنِّي قَدْ
أَعْدَدْنَا لِبَلَاسًا جَدِيدًا ، أَمَّا الْحَذَاءُ ، فَكَانَ حَذَاءَ الْعِيدِ ،
وَكَانَ نَظِيفًا لَمْ يَتَوَسَّخْ ، كَانَهُ جَدِيدٌ ، لِأَنَّنَا مَا كُنَّتْ
أَبْسُمُهُ إِلَّا قَلِيلًا ، وَتَطَبَّتْ أَنِّي وَغَيَّرْتُ الْبَلَاسَ ، وَخَرَجْنَا
مَعَ الْجَمَاعَةِ إِلَى الْمُصْلَى ، فَكَبَرَ وَهَلَّ جَهْرًا ، وَصَلَّى الْإِمَامُ
بِالْبَلَاسِ وَخَطَبَ ، وَذَكَرَ أَحْكَامَ الْأُضْحِيَّةِ ، وَرَجَعْنَا
مِنَ الْمُصْلَى بِطَرِيقٍ آخَرَ ، وَذَبَحْنَا أَنِّي الْبَقَرَةَ وَسَمَّيَ اللَّهُ وَكَبَرَ ،
وَوَزَّعْنَا أَنِّي الْلَّحْمَ عَلَى الْمُسَاكِينِ وَالْأَفَارِبِ
وَالْأَضْدِيقِ ، وَطَبَّخْنَا لَنَا أَيْضًا ، فَمَا تَعَدَّنَا إِلَّا بِلِحْمٍ

أُضْحِيَتَا .

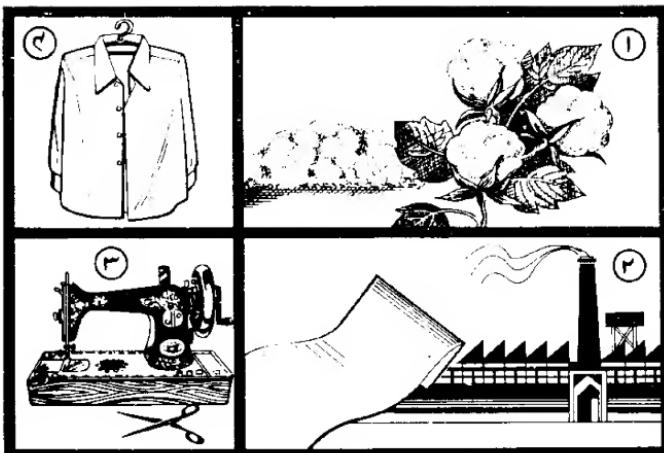
وَ تَوَقَّرَ كَثِيرٌ مِنَ الْحُسْنِ ، فَأَحْتَفَظَتْ بِهِ أُمَّى
وَأَنِسَتُهُ ، وَ لَمْ يَرْزَلْ نَأْكُلُ مِنْ هَذَا الْقَدِيدِ مُدَّةً طَوِيلَةً .
وَ كَانَتْ فِي أَيَّامِ الْعِيدِ التَّلَاثَةِ مَادِبٌ كَثِيرٌ ،
وَ كَانَتْ أَيَّامَ أَكْلٍ وَ شُرْبٍ ، وَ قَدْ دَعَا أَنِي لَيْلَةً يَوْمَ
الْعِيدِ جَمَاعَةً مِنْ أَصْدِقَائِهِ وَ جِيرَاهُ ، وَ صَنَعْتُ أَمَّى
طَعَاماً مُلْوَنَا ، فَأَكْثَرْتُ وَ أَطَابَتْ .

وَ الْيَوْمَ الثَّانِي كُنَّا ضِيُوفاً عِنْدَ جَارِنَا الْكَرِيمِ :
السَّيِّدِ حُسْنِ الْطَّيِّبِ . وَ كَانَتْ مَادِبَةً عَظِيمَةً ، وَ لَمْ
آكُلْ مِنَ الْحُسْنِ فِي طُولِ الشَّهْرِ مَا أَكَلْتُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
وَ لَمْ يَضُرَّ شَيْئاً .

وَ كُنْتُ أَسْعَمُ الْأَمَامَ مِنْ بَغْرِيْوَمْ عَرَفَةَ إِلَى
عَضْرِ الْيَوْمِ الْأَخِيرِ مِنْ أَيَّامِ الشَّرِيقِ يَعْنِي التَّالِثَ عَشَرَ
مِنْ ذِي الْحِجَّةِ يَكْبُرُ وَ يَهْلَلُ دُبْرُ كُلِّ صَلَاةٍ شَكْرُبَةٍ .



١٥ تَارِيْخُ الْقَمِيْصِ



إِنَّكَ لَيْسَ قَمِيْصًا جَدِيدًا ، فَأَبْلِي وَأَخْلِقْ !
 وَالْكِنْ هَلْ تَعْرِفُ مِنْ تَارِيْخِهِ شَيْئًا ، هَلْ تَعْرِفُ كَمْ عَمِلَ
 فِيهِ مِنَ الْأَيْلُونِي ، وَ كَمْ اشْتَغَلَ بِهِ النَّاسُ ، وَ كَمْ تَعَبَ
 فِيهِ الْعَامِلُونَ ، وَ كَيْفَ وَصَلَ إِلَيْكَ ؟
 كَانَ أَوَّلُ أَمْرِهِ أَنَّ الزَّرَاعَ زَرَعَ الْقُطْنَ وَ تَحْمَلَ
 فِي زَرَاعَتِهِ عَنَاءَ شَدِيدًا ، فَانَّ زِرَاعَةَ الْقُطْنِ فِيهَا تَعَبٌ
 عَظِيمٌ ، وَ شُغْلٌ طَوِيلٌ ، حَرَثَ الْأَرْضَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ،
 أَوْ أَكْثَرَ ، وَ شَقَ خُطُوطًا ، وَ مَلَأَهَا بِالْمَاءِ ، وَ تَرَكَهَا حَتَّى

جَفَّتْ، وَحَفَرَ فِي جَنْهَا حُفَرًا، ثُمَّ بَذَرَ فِيهَا بُذُورًا مِنْ
الْقُطْنِ قَدْ نَقَعَهَا مَلْأَةً لَيْلَةً، وَلَمَّا نَجَمَ النَّبَاتُ عَزَّ
الْفَلَاحُ الْخُطُوطَ، بَجَعَلْ بَاطِنَهَا ظَاهِرَهَا، وَقَلَعَ الْمُشَائِشَ
الَّتِي تَضَرَّرَ بِالْقُطْنِ، وَأَرَادَهَا عِرَارًا، وَلَمْ يَزُلِ الْفَلَاحُ
يَخْدُمُ الْحَقْلَ، وَيَتَعَبُ وَلَا يَسْتَرِيعُ شَهْرًا، حَتَّى ظَهَرَ
فِيهَا الْقُطْنُ، فَأَبْتَثَ الْأَوْلَادُ مِنَ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ فِي
الْحَقْلِ، وَجَنَوْا الْقُطْنَ.

وَلَمَّا جَمَعَ الْقُطْنُ أُرْسِلَ إِلَى الْحَلَاجَ، فَلَجَّهُ، ثُمَّ
نُقْلَ إِلَى بَعْضِ الْمُصَانِعِ فَعُزِّلَ، ثُمَّ أَخْدَهُ الْحَائِكُ، وَمَدَّهُ
خُيُوْطًا مُتَقَارِبَةً، وَلَمْ يَزُلْ يَشْتَغِلُ وَيَتَعَبُ أَيَّامًا، حَتَّى
نَسَجَهُ ثَوْبًا نَاعِمًا مَتَيْنًا، وَاسْتَرَى تَاجِرًا ذَلِكَ التَّوَبَ
وَوَضْعَهُ فِي دَكَانِهِ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُوكَ يَمَالِهِ الَّذِي اكْتَسَبَهُ
يَعْرِقُ الْجَيْنِينَ، وَتَعَبُ فِيهِ أَيَّامًا، وَأَنْتَ مُسْتَرِيعٌ فِي
الْبَيْتِ تَأْكُلُ وَتَنَامُ، وَذَهَبَ ذَلِكَ التَّوَبَ إِلَى حَيَّاطِ
فَقَصَّلَ مِنْهُ لَكَ قِيَصًا، ثُمَّ خَاطَهُ لَيْلَةً الْعِيدِ وَهُوَ سَاهِرٌ
وَأَنْتَ فِي فِرَاسِكَ تَأْتِمُ.

وَجَاءَ إِلَيْكَ الْقَيْصُ مِنْ غَيْرِ تَعْبٍ مِنْكَ وَشُغْلٍ،

أَفَلَا يَحْبُّ عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ إِذَا لَيْسَتَهُ :
 «اللَّهُمَّ أَنْتَ كَسُوتِيهُ، وَالْبَسْتِيهُ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ
 مَّنِي وَلَا قُوَّةٌ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ، وَخَيْرَ مَا صَنَعَ لَهُ
 وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ، وَشَرِّ مَا صَنَعَ لَهُ» .

الأسد ١٤

الْأَسَدُ مَلِكُ الْغَابَةِ، وَسَيِّدُ السَّبَاعِ، وَهَيْتَهُ
 تَدَلُّ عَلَى ذَلِكَ، فَلَهُ مَنْظُورٌ مُهِبٌّ، وَرَيْنُوٌ تَدُوِيُّ لَهُ
 النَّامَاتُ، وَيَطِيرُ لَهُ قَلْبُ الشَّجَاعِ؛ قَوْيُ الْبَأْسِ، كَيْرُ
 الْجَسْمِ، يُحِيطُ بِرَأْيِهِ شَعْرٌ كَيْرٌ يَكَادُ يَحْبُّ رُكْبَتِيهِ، إِذَا
 غَضِبَ تَجَعَّدَتْ جَبَهَتُهُ وَخَدَاهُ، وَكَشَرَ عَنْ أَنْيَاهُ
 وَأَبْرَقَتْ عَيْنَاهُ، وَأَخْتَلَجَ حَاجِبَاهُ، وَوَقَفَ شَعْرُ بَدِيهِ،
 وَضَرَبَ بِذَنْبِهِ جَنِيَّهُ، وَأَطْبَقَ عَيْنَهُ، وَمَالَ إِلَى
 الْأَرْضِ، وَوَثَبَ عَلَى فَرِيسَتِهِ كَالصَّاعِقَةِ، حَتَّى إِذَا
 ظَفَرَ بِهَا أَخَذَ فِي مُلَاقِتِهَا، ثُمَّ مَرَّقَهَا بِأَنْيَاهِهِ تَمْرِيقًا .
 وَإِذَا كَانَ الْأَسَدُ مَقِيدًا دَلَّتْ هَيْتَهُ عَلَى الْمَدُورِ،

فَإِذَا أَفْلَتَ وَ هُمْ يَحْدُثُونَ الدَّفَعَ مِنْ عَرِينِهِ ، وَ هُوَ أَكْثَرُ
شَجَاعَةً فِي الْلَّيْلِ يُسْهِمُ فِي النَّهَارِ ، وَ يَمْهُرُ بِالْإِنْسَانِ ،
وَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُ إِلَّا إِذَا كَانَ ضَارِّاً أَوْ هَاجَهُ إِنْسَانٌ .

وَ يَهْجُمُ عَلَى الْحَيَّاتِ كَالْحَلْبِ وَ الْجَمَالِ وَ الْبَقَرِ
وَغَيْرِهَا ، وَ يَصِيدُ الظُّرُفَ وَ يَأْكُلُهُ بِرَغْبَةٍ ، وَ تَدْفَعُهُ
الْجَرَاءَةُ إِلَى اخْتِطَافِ الْإِنْسَانِ مِنْ بَيْنِ قُوَّمِهِ .

وَأَنَّى الْأَسَدِ تُعْرَفُ بِاللَّبَوَةِ ، وَهِيَ أَصْغَرُ جُنْحَةٍ ،
وَ أَنْفَقُ حَرْكَةً ، وَ أَشَدُ غَضَبًا مِنْهُ ، وَ جَرْوُهَا يُعْرَفُ
بِالشَّبَلِ ، وَ يَبْدَأُ فِي الْأَفْتِرَاسِ ، وَ يَهْمِمُ بِقُوَّتِهِ إِذَا بَلَغَ
الثَّالِثَةَ مِنْ عُمُرِهِ .

وَ مُعْدَلُ طُولِ الْأَسَدِ ثَلَاثُ أَذْرُعٍ ، وَ عُلُوُّهُ ذِرَاعٌ
وَ رُبْعٌ ، وَ مُعْدَلُ مَا يَعِيشُ خَمْسٌ وَ عِشْرُونَ سَنَةً ، وَ قَدْ
يَلْمُعُ فِي قَصْصِهِ مِائَةً سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ .



١٧ غرور الْدُّنْيَا

تَقُولُ لَيْسَ الْمَاجِدُ
 إِلَّا الْقَنْوَعُ الْزَاهِدُ
 فَاَعْزَزَ مَنْ قَنْعَ
 وَمَا اَذَلَّ مَنْ طَمَعَ
 دُنْيَاكُمْ حَيْثَيْ
 لِكِنَّهَا غَدَارَةُ
 بِحُسْنِهَا وَ الطَّيْلَةُ
 لَيْسَ هَلَّا حَيْثَ
 خَدَاعَةُ غَرَارَةُ
 مَلُوَّةُ خَوَانَةُ
 زَوَالُهَا قَرِيبُ
 هَرَقُ الْأَحْبَابَا
 لَيْسَ هَلَّا اُمَانَةُ
 حَرَبُ لَمَّنْ سَالَهَا
 تَشَتَّتُ اَلْأَسْرَابَا
 تَمَلَّ مَنْ لَازَمَهَا
 عَزِيزُهَا ذَلِيلُ
 كَثِيرُهَا قَلِيلُ
 وَصَالَهَا عَنَاءُ
 صَدُودُهَا بَلَاءُ
 يَحْظَى بِهَا الْجَهَالُ
 وَيَنْعَمُ الْأَنْذَالُ
 يَشْقَى بِهَا الْلَّيْلُ
 وَيَتَعَبُ الْأَدِيبُ

(أبو النهاية)

١٨ رسالَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إِذَا جَاءَكَ قَرِيبٌ أَوْ صَدِيقٌ ، وَ قَالَ : إِنِّي مَسَاوِرٌ
إِلَى الْوَطَنِ ، وَ سَأَقْبِلُ أَبَاكَ ، فَهَلْ تُوْصِنِي بِشَيْءٍ ؟ وَ هَلْ
لَكَ رِسَالَةٌ إِلَيْهِ أَحْمِلُهَا مِنْكَ ، وَ أَبْلُغُهَا إِلَيْهِ ؟ . فَلَا تَشْكُ
اللَّهَ سَيَخْتَمُ بِإِيمَكَ ، وَ رَبَّنَا يَسْأَلُ أَبُوكَ عَنْكَ خَبْرًا
سَارًا ، وَ بُشْرَى صَحَّتِكَ . فَتَقُولُ : إِقْرَا عَلَيَّ وَالِّيَّ مِنْ
السَّلَامَ ، وَ قُلْ لَهُ : إِنَّ ابْنَكَ يُخَيِّرُ ، وَ كَمَا تُحِبُّ مِنْ
صَحَّةٍ وَ سَرورٍ .

كَذَلِكَ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْمَوْتَ جَسْرٌ
إِلَى الْآخِرَةِ ، وَ كُلُّ مَنْ عَبَرَ هَذَا الْجَسْرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
وَصَلَ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَ اجْتَمَعَ هُنَالِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَ تَشَرَّفَ بِزِيَارَتِهِ ، وَ لَا مُدَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَائِلٌ
عَنْ أَمْتِهِ .

وَ يُمْكِنُ أَنْ لَا يَصِلَ قَرِيبُكَ أَوْ صَدِيقُكَ إِلَى
الْوَطَنِ لِسَانِعٍ أَوْ حَادِثَةٍ ، أَوْ يَصِلَ إِلَى الْوَطَنِ ،
وَ لَا يَجْتَمِعَ بِإِيمَكَ ، وَ لِكُنَّ الْمُسْلِمِينَ مَا كَانُوا يَشْكُونَ فِي

وَصُولِ الْمَيْتِ إِلَى عَالَمِ الْآخِرَةِ، وَاجْتِمَاعِ الشَّهِيدِ
رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ .

رَحَفَ لِلْمُسْلِمِينَ إِلَى الشَّامِ، وَكَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ
أَخْبَرُهُمْ « لَتَفْتَحَنَ كُنُوزَ كِسْرَى وَقِصْرَ » وَقَدْ وَعَدْهُمَا
اللَّهُ بِالنَّصْرِ، وَقَالَ: « وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْمُنْصُرُونَ،
وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ » وَكَانُوا وَاقِفِينَ بِالنَّصْرِ
وَالْفَتْحِ، وَكَذَلِكَ كَانَ، فَقَدْ فَتَحُوا مَدِينَةَ بَعْدَ مَدِينَةِ،
وَهَرَمُوا جُنْدًا بَعْدَ جُنْدٍ .

وَجَاءَ رَجُلٌ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ إِلَى أَبِي عَيْدَةَ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ، قَائِدِ الْمُسْلِمِينَ - فَقَالَ: إِنِّي قَدْ تَهَيَّأْتُ لِأَسْرِي
أَيْ لِلشَّهَادَةِ، فَهَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ .
قَالَ أَبُو عَيْدَةَ: نَعَمْ ! تَقْرِئُهُ عَنِ السَّلَامَ، وَتَقُولُ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ ! إِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبِّنَا
حَقًّا (١) .



(١) الْبَدْيَةُ وَالنَّهَايَةُ لَابْنِ كَثِيرٍ، ص ١٢، ج ٧ .

١٩ حادثة

رَأَرَنَا مَرَّةً ضَيْفَ كَرِيمٍ ، وَبَاتَ عِنْدَنَا لَيْلَةً ،
وَفِي الصَّبَاحِ قُلْتُ لَهُ : أَسْتَحِمُ يَا سَيِّدِي ؟ .
وَكَانَ يَوْمُ جُمُعَةٍ ، قَالَ : نَعَمْ ۖ قُلْتُ : هَذَا مُغْسَلٌ ،
قَالَ : بَلْ أَسْتَحِمُ فِي التَّهْرِيرِ .

وَكَانَ الشَّيْخُ يَعْرِفُ السَّبَاحَةَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتَفَقَّدْ لَهُ
أَنْ يَسْبَحَ مِنْ مَدَدِ طَوِيلَةٍ ، وَسَمِعْتُ أَنَّ الْإِنْسَانَ
لَا يَنْسَى السَّبَاحَةَ إِذَا تَعْلَمَهَا ، إِلَّا أَنَّهُ يَتَعَبُ سَرِيعًا .
وَكَانَ التَّهْرِيرُ فَائِضًا ، وَكَانَ يَجْرِي بِقُوَّةٍ ، خَاصَّ
الشَّيْخَ التَّهْرِيرَ ، وَبَدَا يَسْبَحُ ، فَلَمَّا كَلَّتْ عَصْدَهُ ،
وَخَارَتْ قُوَّاهُ وَأَعْيَا ، وَدَفَعَهُ الْمَاءُ بِقُوَّةٍ ، فَجَعَلَ يَجْرِي
فِي تِيَارِهِ لَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا ، وَأَيْقَنَ بِالشَّرِّ .

فَجَعَلَ يَصْرَخُ وَيَسْعَيْثُ ، وَيَقُولُ : يَا رَجُلًا ،
خُذْ يَدِي ، وَجَعَلَ يَذْكُرُ ، وَيَقُولُ : اللَّهُ ! اللَّهُ !
كَانَهُ فِي آخِرِ عَهْدِهِ بِالدِّينِ ، وَجَعَلَ يَعْطِسُ وَيَطْفُو .
فَسُقِطَ فِي أَيْدِينَا . وَخَفَنَا عَلَيْهِ الْغَرَقَ ، وَكَانَ

أَحَدُ أَقْارِبِنَا مِنْ يُحْسِنُونَ السَّبَاحَةَ يَقْتَسِلُ فِي النَّهَرِ ،
فَقُلْنَا: دُونَكَ الْأَسْتَادَ ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ سُرْعَةً ، وَلَمَّا رَأَى
الشَّيْخَ مُنْجِدًا تَسْبَعَ قَلِيلًا ، وَأَرَادَ أَنْ يَمْسِكَهُ .

وَالْكِنْ كَانَ الرَّجُلُ عَاقِلًا مُعْجَرَبًا ، وَكَانَ يَعْرِفُ أَنَّ
الغَرِيقَ يَرْكَبُ مَنْ يُنْجِدُ وَيَأْخُذُ بِتَلَاسِيهِ ، وَيَعْرَفُ قَانِ
جِيَعًا ، فَلَمْ يُمْلِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، بَلْ عَطَسَ وَدَفَعَهُ مِنْ
أَسْفَلَ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَلَمْ يَرْزُلِ الشَّيْخُ بِجَهْدِهِ أَنْ يَمْسِكَهُ ،
وَالرَّجُلُ يَدْفَعُهُ إِلَى الْأَمَامِ حَتَّى أَوْصَلَهُ إِلَى الشَّاطِئِ .
وَكَانَ الشَّيْخُ كَالْمُعْنَى عَلَيْهِ لَا يَعْقِلُ شَيْئًا ، وَكَانَ

عَلَى الشَّاطِئِ رَجُلٌ يَصِيدُ السَّمَكَ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ
وَقَالَ: مَدَّ عُودَكَ لِيُمْسِكَهُ الشَّيْخُ ، فَقَدْ الصَّيَادُ عُودَهُ ،
وَجَعَلَ يَضْرِبُ بِهِ عَلَى رَأْسِهِ ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ وَلَا يَمْسِكُهُ ،
وَبَعْدَ حِينٍ أَمْسَكَ بِالْعُودِ ، وَوَصَلَ إِلَى الشَّاطِئِ .

وَكَانَ الشَّيْخُ قَدْ شَرِبَ كَثِيرًا مِنَ الْمَاءِ ، فَنَكَسَوْهُ
حَتَّى قَاءَ بِالْمَاءِ وَأَفَاقَ ، وَرَجَعَ إِلَيْهِ الشُّعُورُ وَالْقُوَّةُ .
وَكَانَ عَلَى شَاطِئِ آخَرَ مِنَ النَّهَرِ ، فَصَعَّبُوا لَهُ
مَرْكَبًا مِنَ الْجِرَارِ ، وَرَكِبَهُ الشَّيْخُ ، وَأَمْسَكَ بِالْحَبْلِ ،

وَ حَوْلَهُ عَدْدٌ كَيْوَعٌ مِّنْ فُرْسَانِ السَّبَاحَةِ، وَ أَطْلَالِ
الْمَاءِ، وَ رَجَعَ فِي الْمُؤْكِبِ إِلَى الشَّاطِئِ، وَ قَدْ ذُعِرَ
الْأَسْتَادُ بِهَذِهِ الْحَادِثَةِ، فَكَانَ يُوَصِّي كُلَّ مَنْ يَزُورُ
فَرِيَّتَنَا أَنْ لَا يَدْخُلَ النَّهَرَ، وَ كَانَ يَقُولُ : إِذَا أَرَدْتَ
أَنْ تَمْتَعَ بِالْدُّنْيَا ، فَإِيَّاكَ وَ النَّهَرَ .

وَ كَانَ الشَّيْخُ لَا يَزَالُ يَعْتَبُ عَلَى الرَّجُلِ أَنَّهُ
لَمْ يَنْجُدْهُ ، وَ لَمْ يَمْدُدْ إِلَيْهِ يَدَهُ ، وَ لَا يَرَاهُ مَعْذُورًا فِي
هَذَا الْأَمْرِ .

٢٠ فَتَىُ الْأَسْلَامِ

هَلْ تَعْرِفُ قِيَانًا هُمْ فِي السَّابِعَةِ عَشَرَةَ ، أَوِ
الثَّامِنَةِ عَشَرَةَ مِنْ عُمُرِهِمْ ؟ بَلْغَكَ اللَّهُ فَوْقَ هَذِهِ السَّنَنِ
وَ عَمَّرَكَ طَوِيلًا .

إِنَّكَ لَتَعْرِفُ مِنْهُمْ كَيْثِرًا ، فَهَلْ تَعْرِفُ عَبْهُمْ غَيْرَ
أَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ وَ يَشْرَبُونَ ، وَ يَرْتَعُونَ وَ يَلْعَبُونَ
وَ يَتَجَمَّلُونَ فِي الْمَلَائِسِ ، وَ يَتَأَقْرَبُونَ فِي الْمُنْدَامِ وَ الْزَّيْنَةِ .
وَ إِذَا امْتَازَ فِيهِمْ فَقَى ، وَ عَلَتْ هَمَمَتُهُ ، عَكَفَ عَلَى

دراسيه و مطالعاته ، و جدّ فيها و اجتهد ، حتى برز في الاختبارات ، و أحرز الجوائز و الوسامات .

و إذا طمع قيم شاب اجتهد لوظيفة في مصلحة من مصالح الحكومة فصار يتناقض راتباً شهرياً . ذلك مبلغهم من العلم ، و تلك أقصى أموالهم في الحياة .

و لكن لما كانت دولة الإسلام ، و كانت الهمم عالية ، كان الشاب المسلم يطمع إلى إقامة الجهاد ، وفتح البلاد ، فيفتح قطراً أو يؤسس دولة أو يموت شهيداً .

هذا محمد بن قاسم الفقي قد غزا الهند - وهي بلاد بعيدة من بلاد العرب وراء الحمار - فهزم الجنود ، وقتل الملوك ، و وظف الخراج ، و سبي الذرية ، وفتح محمد السندي ، و توغل في الهند ، حتى قطع نهر يناس إلى المثان ، و فتحها . و خضع أهل الهند لمحمد ، وأجبوه لدينه و كرمه و عدله ، مع أن التمر التافه لا يحب ، و صنعوا له تمثلاً على عادة أهل الهند .

وَ تِلْكَ الْفُتُوحُ الْعَظِيمَةُ كُلَّهَا كَانَتْ فِي مُدَّةٍ
قَصِيرَةٍ جِدَّاً .
هَذَا ، وَ فَاتَحُ السَّنْدِلَ مَمْبَعَهُ يَتَحَوَّزُ السَّابِعَةَ عَشَرَةَ مِنْ
عُمُرِهِ ، وَ فِي ذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ :
سَاسَ الرِّجَالَ لِسَبْعَ عَشَرَةَ حِجَّةً
وَ لِدَاهِهِ عَنْ ذَاكَ فِي أَشْغَالِ

٢٦ الرِّمَانِيَّةُ

سَأَلْتُ أَبِي أَنْ يَشْتَرِي لِي بَنْدُقِيَّةَ صَغِيرَةً ، لَا أُصِيدَ
الْطَّيْوَرَ : كَالْهَمَامَ وَ الْحَمَامَ وَ الْغَرَابِ الَّذِي يُؤْذِي كَثِيرًا
وَ يَلْعُبُ فِي الْمَاءِ ، وَ أَتَمَّنَ عَلَى الرَّوْمِ ، فَأَشْتَرَى لِي بَنْدُقِيَّةً
وَ حُكْمَةً مِنَ الرَّشَاشِ
وَ كُنْتُ إِذَا رَجَعْتُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ ، أَوْ كَانَ يَوْمُ
عُظْلَةٍ أَخَذْتُ الْبَنْدُقِيَّةَ ، وَ عَدَدًا مِنَ الرَّشَاشِ ، وَ ذَهَبْتُ
إِلَى الْبَسَانِ أَرْمَى الطَّيْوَرَ .
وَ فِي الْأَوَّلِ لَا أُصِيبُ طَائِرًا ، وَ أُخْطِلُ

كُلَّ مَرَّةً، ثُمَّ صِرْتُ أُصِيبُ مَرَّةً فِي ثَلَاثَ طَلَقَاتِ،
وَأَصِيبُ بَعْضَ الطَّيْوَرِ، حَتَّى تَمَرَّنْتُ فِي شَهْرَيْنِ، وَ اشْتَدَّ
سَاعِدِيُّ .

وَ رَأَيْتُ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ شَيْئاً غَرِيباً،
كَانَتْ عِنْدَهُ صَفِيحةٌ، وَ كَانَ عَلَى وَجْهِهِ الصَّفِيحة
مِثْلُ فَلْسٍ، لَهُ لَوْنٌ يَلْمَعُ، وَ يَظْهِرُ مِنْ بَيْنِهِ
وَ كَانَ يَجْعَلُ هَذَا الْفَلْسِ مِثْلُ جَرَابٍ، كَانَ
يَشْحَنُهُ بِالْبَارُودِ، وَ يَسْدُدُهُ بِالْقِرْطَاسِ، وَ كَانَ فِي هَذِهِ
الصَّفِيحةِ رَسْمٌ مِنْ حَدِيدٍ: جَنْدِيٌّ فِي لِبَاسِ جَنْدِيٍّ، فِي
يَدِهِ قُبَّةٌ .

وَ كُنَّا نَبَارِيُّ فِي الرَّمَيِّ، وَ نَزَّمْنَا هَذَا الْفَلْسِ
بِالرَّشَاشِ، فَإِذَا أَصَابَ إِنْسَانٌ الْفَلْسَ إِنْطَلَقَ الْمُدْفَعُ،
وَ سَمِعَ النَّاسُ صَوْنَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَ افْتَحَ الْبَابُ،
وَ خَرَجَ رَجُلٌ هُنْ حَدِيدٌ، فِي يَدِهِ عَلَامَةٌ يُشِيرُ بِهَا إِلَى
الْمُدْفَعِ وَ يُخْبِرُ بِالْأَصَابَةِ .

وَ ظَهَرَ الْجَنْدِيُّ رَافِعًا قُبَّةَ يَسْلَمٍ عَلَى الْمُصِيبِ،

وَ كَانَهُ يَهْمِهُ بِنَجَاحِهِ .

وَإِذَا أَخْطَأَ النَّاسُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ: لَمْ يَنْطَلِقِ الْمُدْفَعُ ،
وَلَمْ يَتَحَرَّكِ الْجُنْدِيُّ مِنْ مَكَانِهِ . وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنِّي كُنْتُ
أُصِيبُ الْفَلَسَ فِي الْمُرَّةِ التَّالِيَةِ دَائِمًا ، وَ إِذَا أَنْطَلَقَ
الْمُدْفَعُ سَرِّيْرُتُ سُرُورًا عَظِيْمًا .

وَبَعْدَ أَشْهُرٍ قَدْرٍ أَنْ أَسْتَعْمِلُ الْبُنْدِقِيَّةَ الْكَبِيرَةَ ،
فَكُنْتُ أُخْرُجُ فِي الصَّيْدِ ، وَأُصِيدُ الْحَامَ الْأَخْضَرَ وَالْبَطَّ ،
وَأَنْواعًا مِنَ الطَّيُورِ .

وَسَمِعْتُ الْمُعْلَمَ يَقُولُ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى عَلَى
الرَّمَى كَثِيرًا ، وَشَارَكَ فِي الْمُنَاضَلَةِ ، وَقَالَ : « إِذْ رُمُوا
يَابَنَى إِسْمَاعِيلَ ! فَإِنَّ أَمَّا كُمْ كَانَ رَامِيًّا » ، وَقَالَ : « أَلَا إِنَّ
الْقُوَّةَ الرَّمَى ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمَى » .
فَسَرِّيْرُتُ كَثِيرًا ، وَعَلِمْتُ أَنَّ عَمَلِي لَمْ يَكُنْ
عَمَّا ، وَأَنِّي لَمْ أَضِيَّعْ وَقْتِيْ .



الجمل (٣٣)

أَنْظُرُوا إِلَى الْأَيْلِ : كَيْفَ خُلِقَ ، تَرَوْهَا
 لَا مِثْلَ لَهَا فِي الْخُلُقَةِ ، فَإِنَّ الْجَملَ أَكْبَرَ الْحَيَوانِ الدَّاجِنِ
 جِسْمًا وَأَطْوَلُهُ سَافًا ، وَلِذِلِّكَ كَانَتْ رَقَبَتُهُ طَوِيلَةً ، حَتَّى
 يُمْكِنَكُهُ أَنْ يَرْعَى الْكَلَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يَدْوُنِ أَنْ يَرْكُأَ ،
 وَرَأْسُهُ صَغِيرٌ لِكُوْنَ حَفِيفَ الْخُلُقِ عَلَى رَقَبَتِهِ ، وَأَرْجُلُهُ
 فِيهَا أَخْفَافٌ تَمْنَعُ سَوْخَهَا فِي رِمَالِ الصَّحَراءِ الَّتِي كَثِيرًا
 يَسِيرُ فِيهَا ، وَعَلَى ظَهِيرِهِ سَنَامٌ كُلُّهُ شَحْمٌ ، يُرَكِّبُ عَلَيْهِ
 الْقَتْبَ ، وَعَيْنَاهُ سُودَاوَانِ قَاسِيَّانِ ، تَشَفَّانِ عَنْ جَلْمِ
 وَدَعَةٍ ، وَلَهُ فِي وَسْطِ بَطْنِهِ قُرْصٌ غَلِيلٌ يُسَمِّي
 الْكَلَكَلَ ، يَسْتَدِدُ عَلَيْهِ مَقْتَى بَرَكَ ، وَلَهُ فِي أَرْجُلِهِ قِطْعَةٌ
 عَدِيْمَةُ الْحِسْنِ فِي مَوَاقِعِهَا عَلَى الْأَرْضِ .

وَجَوْفُ الْجَملِ يَعِيشُ فِي تَرْكِيْبِهِ ، لَا نَهُ يَحْتَوِي عَلَى
 جُمْلَةٍ كَرْوِشٍ ، يَخْزُنُ فِيهَا مِقْدَارًا عَظِيمًا مِنَ الْغِذَاءِ حَتَّى إِذَا
 جَاءَعَ ، وَلَمْ يَجِدْ أَكْلًا ، أَخْرَجَ مِنْ كِرْشَارِ جَرَّةً ، وَاجْتَرَّهَا ،
 وَلِذِلِّكَ يُسَمِّي حَيَوانًا مُجْتَرًّا ، وَإِذَا فَرَغَ مَا خَرِزَهُ فِي

جَوْفُهُ، فَإِنَّ شَحْمَ سَنَامِهِ يَتَحَلَّ شَيْئًا فَشَيْئًا لِيَغْذُوهُ،
وَيَكْفِيهِ مُدَّةً طَوِيلَةً.

وَلِلْجَمَلِ فِي جَوْفِهِ جُمَلَةُ أَرْقَافٍ تَمَتِّلِي بِالْمَاءِ عِنْدَمَا
يَشْرَبُ، حَتَّى إِذَا عَطَشَ فِي مَكَانٍ قُرْبَ لَا مَاءَ فِيهِ،
أَغْنَاهُ مَا حَرَزَنَهُ عَنِ الشَّرِبِ زَمَانًا طَوِيلًا.

الْجَمَلُ

— ٤٣ —

فِي عِدَّةِ جِهَاتٍ مِنَ الدُّنْيَا صَحَارَى قَاحِلَةُ لِأَحِيَّانَ
فِيهَا، وَلَانَبَاتَ، أَرْضُهَا رِمَالٌ جَافَّةٌ.

لَا تَرَى فِيهَا قَطْرَةً مِاءً، يَسْلُكُهَا النَّاسُ اضْطِرَارًا،
فَيَحْمِلُونَ زَادَهُمْ : مِنْ مَاءٍ وَطَعَامٍ، عَلَى ظُهُورِ الْجَمَالِ،
وَيَسِيرُونَ فِي تِلْكَ الْقَفَارِ مُجْتَمِعِينَ، وَإِلَيْهِمْ مُتَابِعَةٌ
كَالْقَطَارِ، وَهِيَ تَسِيرُ بِهِمْ هَادِيَةً سَاكِنَةً، تَصِيرُ عَلَى
الْجُمُوعِ وَالْعَطَشِ مُعْظَمَ الْعَرِيقِ، لِأَهْمَّهَا قَدْ حَرَزَتْ
مُؤْتَهَا فِي جَوْفِهَا قَبْلَ الرَّجْيلِ، وَتَحْمِلُ فَوْقَ ذَلِكَ مِنَ
الْمَتَاجِرِ أَحْمَالًا يُقَالُ، لَا تَئْتُنَّ مِنْهَا وَلَا تَكُلُّ، فَتَرَى الْجَمَلَ

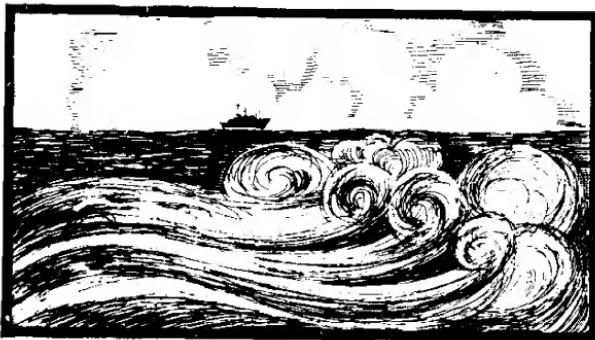
كَانَهُ وَمَرْكَبٌ يَشْقَى تِلْكَ الرَّمَالَ الْوَاسِعَةَ ، وَلِذَا
سَمِّيَ «سَفِينَةُ الصَّحَرَاءِ». وَإِنَّ ضَلَالَ الْمُسَافِرِ وَالْطَّرِيقَ فِي
الصَّحَرَاءِ يَأْخُذُهُمُ الْقَلْقُ عَلَى حَيَاتِهِمْ ، مَخَافَةً أَنْ يَنْفَدِرَ زَادُهُمْ
فَيَمْوِلُوْنَ جُوْعًا وَعَطَشًا ، وَالْكِنَّ الْجَلَلَ يُنْقِذُهُمْ أَجْيَانًا
مِنْ تِلْكَ الْأَخْطَارِ ، لِأَنَّهُ يَشْمَسُ الْمَاءَ مِنْ بُعْدِ ، فَيَسِّرُهُ نَحْوَهُ
بِسُرْعَةٍ عَرِيقَةٍ ، لِيَشْتَقِي صَاحِبُهُ .

وَالْجَلَلُ سَهْلُ الْقِيَادِ ، لَيْسَ الطَّبَاعَ ، يَتَحَمَّلُ كَثِيرًا
مِنَ الْأَذَنِي بِالصَّبَرِ ، وَالْكِنَّ يَتَوَهَّمُ مَقْتَلَعَ الْأَذَنِي شَدَدَةً
عَظِيمَةً ، فَيَسْتَقِمُ مِنْ آذَاهُ ، وَلَا يَتَرَكَهُ إِلَّا إِذَا ثَارَ
لِفَسِيهِ وَفَتَكَ بِهِ .

وَإِذَا كَوَى الْجَلَلُ اشْتَدَّ بَأْسُهُ ، وَعَافَ الْأَكْلُ مَالَمْ
يُوَضَعُ فِي فِهِ ، وَيَقُولُ النَّاسُ عَنْهُ : إِنَّهُ صَابِمٌ ، وَفِي
هَذِهِ الْحَالَةِ يُخْرِجُ شِقْشِقَتَهُ مِنْ حَلْقِهِ وَيَشْقِشِقُ
مِنَ الغَضَبِ .



٤٦ أنا هنافاً عِرْفُونِي



مَوْلِدِنِي وَ وَطَنِي مَا تُسْعِنُهُ الْبَعْرُ ۚ أَنَا ابْنُ أُمَّةٍ
عَظِيمَةٍ، قَدِ امْتَدَتْ عَلَىٰ مَسَافَةِ أَلَافٍ مِّنَ الْأَمْيَالِ،
وَ يَقُولُونَ : إِنَّ أُمَّةَ أَعْظَمٍ مِّنْ أُمَّةِ الْبَرِّ؛ فَقَدْ شَغَلَنَا
نَحْنُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْكُرْبَةِ، وَ الْيَوْمَ سِنْهَا نَحْنُ رُبْعٌ .
وَ قَدْ فَارَقْتُ وَطَنِي قَبْلَ شَهْرَيْنِ، لَمَّا اشْتَدَ الْحَرَّ
فِي هَذَا الصَّيْفِ، تَكَوَّنَ بَخَارٌ : وَ فَارَقَ الْبَحْرَ، وَ سَارَتْ
بِهِ الرِّيَاحُ إِلَى الْجِبَالِ، وَ هُوَ السَّحَابُ الْمُسْعَرُ بَيْنَ السَّمَاءِ
وَ الْأَرْضِ فَلَمَّا جَاءَهُ الْأَمْرُ مِنَ اللَّهِ، تَحَلَّ هَذَا الْبَخَارُ
بِالْحُرَارةِ، وَ نَزَّلَ قَطْرَاتٍ قَطْرَاتٍ عَلَى الْأَرْضِ، وَ قَالَ

النَّاسُ : الْمَطَرُ ، الْمَطَرُ ! وَأَنَا هُنَا ، فَأَعْرِفُونِي
لَعْلَكُمْ رَأَيْتُمْ قِدْرًا عَلَى النَّارِ فِيهَا مَاءٌ ، فَإِذَا غَلَّتِ
الْقِدْرُ ، تَصَاعَدَ صُنْها مِثْلُ دُخَانٍ ، وَهُوَ الْبَخَارُ ، وَأَنَا
هُنَا ، فَأَعْرِفُونِي .

وَإِذَا نَزَلَ الْمَطَرُ ، وَجَدَتْ قَطَرَاتٍ مِنَ الْبَرْدِ ،
وَوَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلَ الزُّجَاجِ ، قَالَ النَّاسُ :
الْبَرْدُ ، الْبَرْدُ ! وَأَنَا هُنَا ، فَأَعْرِفُونِي .
وَقَدْ أَسْقَطَ فِي الْجِبَالِ مِثْلَ الصَّوْفِ الْأَيْضَ
اللَّامِعُ ، وَأَلْمَعُ فِي الشَّمْسِ مِثْلَ الْجَنِينِ ، فَيَكُونُ مَنْظَرًا
جَمِيلًا . وَيَقُولُ النَّاسُ : الثَّلَجُ ، الثَّلَجُ ! وَأَنَا هُنَا ، فَأَعْرِفُونِي .
وَقَدْ يَشَدُّ الْبَرْدُ فِي الشَّتَاءِ ، فَيَجْمُدُ مَا كَانَ مِنَ
الْمَاءِ ، وَيَقُولُ النَّاسُ : الْجَلِيدُ ، الْجَلِيدُ ! وَأَنَا هُنَا ، فَأَعْرِفُونِي .
وَإِذَا هَبَطَتْ مِنَ الْجِبَالِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَزَاحَمَتِي
صُخُورٌ أَوْ أَحْجَارٌ ، كَانَ شَلَالٌ يَكُونُ لَهُ صَوْتٌ هَائلٌ
وَمَنْظَرٌ جَمِيلٌ ، وَأَنَا هُنَا ، فَأَعْرِفُونِي .

وَإِذَا اجْتَمَعَتْ شَلَالَاتٌ ، خَرَجَتْ مِنَ الْجِبَالِ ،
فَكَتَتْ نَهَرًا ، يَكُونُ فِي مَبْسَدِهِ صَغِيرًا ، ثُمَّ يَسْكُونُ

عَرِيضاً عَيْقاً، وَقَالَ النَّاسُ : نَهْرُ السَّنْدِ وَ نَهْرُ دِجلَةَ،
 وَ الْفُرَاتِ ، وَ النَّيْلِ ، وَأَنَا هُنَا ، فَأَعْرِفُونِي .
 وَلَعَلَّكَ رَأَيْتَ فِي الصَّبَاجِ أَيَّامَ الشَّتَاءِ مِثْلَ الدُّخَانِ ،
 وَ يُسَمِّيهُ النَّاسُ الضَّبَابَ ، وَأَنَا هُنَا ، فَأَعْرِفُونِي .
 وَ لَعَلَّكَ رَأَيْتَ قَطَرَاتٍ عَلَى أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ ، وَ عَلَى
 الْعُشُبِ وَ الْأَزْهَارِ ، فِي أَيَّامَ الشَّتَاءِ ، وَ يُسَمِّيهَا النَّاسُ
 الْطَّلَّ وَ النَّدَى ، وَأَنَا هُنَا ، فَأَعْرِفُونِي .
 وَقَدْ أَجَدُ بِالصَّنَاعَةِ فِي الْمَصَانِعِ ، وَ يَحْرُصُ عَلَى النَّاسِ
 أَيَّامَ الصَّيفِ ، فَلَا يَشَرُّونَ الْمَاءَ بِغَيْرِ هَذَا الْجُنُدِ ، وَ لَا
 يَرَوْنَ إِلَّا بِهِ ، وَأَنَا هُنَا ، فَأَعْرِفُونِي .



٤٥ سَفِينَةٌ عَلَى الْبَرِّ



هَلْ سَمِعْتَ بِسَفِينَةٍ تَسِيرُ عَلَى الْبَرِّ ؟ وَهَلْ تُصَدِّقُ
إِذَا أَخْبَرَكَ بِهِ أَحَدٌ ؟
أَظْنَكَ تَقُولُ - وَلَكَ الْحَقُّ - مَا سَمِعْنَا بِهَا فِي آبَائِنَا
الْأَوَّلِينَ . وَلَكِنَّ مُحَمَّداً التَّانِيُّ الْعُسْمَانِيُّ فَاتَّحَ القُسْطُنْطِنْيَةَ ،
تَسِيرَ سَبْعِينَ سَفِينَةً عَلَى الْبَرِّ .

هَلْ تَعْرِفُ كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

غَرَّا الْعَرَبُ الْقُسْطُنْطِنْيَةَ الْعَظِيمَيِّ بِسَتَّ مَرَاتٍ ، وَلَمْ
يَفْتَحُوهَا ، وَقَدْ قَدَرَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْفَتْحُ الْعَظِيمُ .

يَوْ شَابٌ مُّسْلِمٌ مِّنْ آلِ عُشَّانَ ، وَ هُوَ فِي الرَّابِعَةِ
وَ الْعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ ، وَ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ
مَنْ يَشَاءُ .

رَحْفَ مُحَمَّدٌ إِلَى الْقُسْطَنْطِنْيَةِ ، وَ أَعْدَدَ لِذَلِكَ عَدَّةَ
عَظِيمَةً ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

وَ أَعْدَدُوا لَهُمْ مَا أُسْتَطَعُ مِنْ قُوَّةٍ . . .
فَكَانَ تَحْتَ رِيَادِهِ ثَلَاثُ مِائَةٍ أَلْفٍ مُّقَاتِلٍ
وَ مَعْهُ مِدْفِعَةٌ هَائلَةٌ ، فِيهَا مِدْفَعٌ لَا يُوجَدُ فِي أُورْبَا
أَضْخَمُ عِنْهُ ، أَعْدَدَهُ لِذَلِكَ ، مَرْمَاهُ أَكْثَرُ مِنْ مِيلٍ .
وَ كَانَ أُسْطُولُهُ مُرَكَّبًا مِنْ مِائَةٍ سَفِينَةٍ حَرْبَيَةٍ .
وَ كَانَ مُحَمَّدٌ رَأَى أَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ سَلَّلَ خَلْبَعَ
قَرْنَ الْدَّهْبِ - وَ هُوَ مَدْخَلُ الْقُسْطَنْطِنْيَةِ - بِالسَّلَّلِ ،
فَكَيْفَ يَعْبُرُهُ بِأُسْطُولِهِ ؟

فَكَرَّ مُحَمَّدٌ ، وَ لَمْ يَعْجِزْ وَ لَمْ يَنْأِسْ ، وَ وَجَدَ

جِيلَةً ١

رَأَى أَنَّهُ يُمْكِنُ الْعُبُورُ إِلَى الْقُسْطَنْطِنْيَةِ مِنْ جَهَةِ
قَاسِمٍ بَاشا

وَ الْكِنَّ هَذِهِ الْجِهَةُ بَعِيْدَةٌ مِنْ سَفِينَهُ، فَنَّ يَحْمِلُهَا
وَ مَنْ يَنْقُلُهَا مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ إِلَى تِلْكَ الْجِهَةِ، وَ الْمَسَافَةُ
بَعِيْدَةٌ؟

فَكَرَّ مُحَمَّدٌ، وَلَمْ يَعْجِزْ وَلَمْ يَيْأَسْ وَوَجَدَ حِيلَةً
طَلَّ الْأَخْشَابَ بِالشَّحْمِ، فَلَا أَمْلَأْتُ أَزَقَ
عَلَيْهَا السُّفَنَ، وَهِيَ سَبْعُونَ سَفِينَةً.

وَمَا رَأَعَ أَهْلَ الْقُسْطَنْطِنْيَّةِ، إِلَّا وَ سُفْنُ
الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَرْسَتُ عَلَى سَاحِلِ الْقُسْطَنْطِنْيَّةِ، وَ سُقِطَ
فِي أَيْدِيهِمْ.

وَ هَكَذَا أَخَذَ مُحَمَّدٌ الْقُسْطَنْطِنْيَّةَ. عَاصِمَةَ الدُّوَلَةِ
الْبِرْزَانِيَّةِ - وَ سَقَطَتْ عَاصِمَةُ النَّصَرَانِيَّةِ الْمِنْيَعَةُ أَمَامَ
قَائِدٍ مُسْلِمٍ شَابًّا.

وَلَا تَرَالْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ، وَ تُرِكِيَا، فِي
يَدِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ سَنَةِ ٥٨٥ - يَوْمَ فَتَحَهَا مُحَمَّدُ بْنُ
مَرَادٍ - إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا.

(وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ)

٤٤) الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه

— ١ —

ولد عمر بن عبد العزيز سنة ٥٦٥هـ. وأمّه أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، جمّع القرآن، وهو صغيراً، وبعثه أبوه إلى المدينة تأديبها، وكان يأتيه عبد الله بن عمر كثيراً، لي Kahn أمّه منه، ثم يرجع إلى أمّه، فيقول: يا أمّه! أنا أحبّ أن أكون مثل خالي. وكان عمر بن عبد العزيز في شبابه مُتّعماً، يُكثّر من الطّيب، حتى تُوجّد رائحته في المكان الذي يمرّ به، ويُمثّل مشيّة تسمى «العمرية»، كان الجواري يتعلّمنها من حسّها، ولم يرُّ على هذا التّسْعِم، حتى ولّ الخلافة، فزهد في الدنيا ورَضَّها.

وكان في شبابه، ولا يَتّه للْمَدِينَةِ، كثير التّعظيم للعلماء، شدِيد الاعظام لِسَجْدِ الرَّسُولِ عليه، خاشعاً مُتّدِيناً. وعهد سليمان بن عبد الملك إليه بالخلافة وعمر لا يَعْلَم، فلما علم فزع.

وَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَا سَأَلْتُ اللَّهَ قَطُّ ،
وَقَدَمَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الْمَرَاكِبِ مَرْكَبَ الْخَلِيفَةِ فَأَبَى
وَقَالَ : إِنِّي تُؤْمِنُ بِيَعْلَمِي ، وَرَدَ الْمَرَاكِبُ ، وَالسَّرَادِقَاتُ
وَالْفُرْشُ ، وَالْأَذْهَانُ ، وَالثِّيَابُ الْخَاصَّةُ بِالْخَلِيفَةِ ،
إِلَى يَسْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ .

وَجَلَسَ لِلنَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثٍ ، وَحَلَمَهُمْ عَلَى
الشَّرِيعَةِ ، وَرَدَ الْمَظَالِمِ ، وَأَخْيَى الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ ، وَسَارَ
بِالْعَدْلِ ، وَرَضَّ الدُّنْيَا ، وَزَهَدَ فِيهَا ، وَنَهَى عَنِ الْقِيَامِ ،
وَابْتَدَأَ بِالسَّلَامِ ، وَتَرَكَ الْوَانَ الطَّعَامِ ، وَتَرَكَ أَنْ يُخْدِمَ .
كَانَ عِنْدَهُ قَوْمٌ ذَاتُ لَيْلَةٍ ، فَقَامَ إِلَى السَّرَاجِ
فَأَصْلَحَهُ ، فَقَيْلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَكْفِيْكَ ، قَالَ : وَمَا ضَرَّنِي ؟
قُتُّ وَأَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَزِيزِ ، وَرَجَعْتُ وَأَنَا عُمَرُ
بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَزِيزِ .

وَأَتَيَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْفَيْءِ بِعَنْبَرَةِ ، فَأَخَذَ يَسِدِّدُ
قَسْحَهَا ، ثُمَّ أَمْرَهَا فَرَفَعَتْ حَتَّى تُبَاعَ ، ثُمَّ أَمْرَهَ يَدَهُ عَلَى
أَنْفِهِ ، فَوَجَدَ رِيحَهَا ، فَدَعَا بِوَضُوءٍ فَوَضَأَ .

وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ يَأْتِيهِ يَقْمِمُ مِنْ مَاءِ مُسَخِّنٍ يَتَوَضَّأُ
مِنْهُ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ يَوْمًا: أَتَسْخِنُ الْمَاءَ فِي مَطْبِخِ
الْمُسْلِمِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ! قَالَ: أَفْسَدْتَهُ عَلَيْنَا، ثُمَّ حَاسَبَ
تِلْكَ الْأَيَّامَ، وَأَدْخَلَ الْحَطَبَ فِي الْمَطْبِخِ، وَأَبْطَأَ يَوْمًا
عَنِ الْجَمْعَةِ قَلِيلًا فَعَوَّقَتِ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّمَا اتَّنَعَّرْتَ
فِيْصِنِي غَسْلَتِهِ أَنْ يَحْفَظَ.

قَالَ أَزْهَرُ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَخْطُبُ
النَّاسَ وَعَلَيْهِ قِصْرٌ مَرْفُوعٌ.

الْخَلِيفَةُ عَمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

— (٢٧) —

وَلَمْ يُخْدِتْ عُمَرَ مُنْذُ وَلِيَ دَابَّةً وَلَا امْرَأَةً
وَلَا جَارِيَّةً حَتَّى لَحَقَ بِاللَّهِ، وَلَمْ يُرِ ضَاحِكًا مُنْذُ وَلِيَ
الْخِلَافَةَ حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ.

وَأَتَتْهُ سَلَّاتَ رُطْبَ مِنَ الْأَرْدَنِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟
قَالُوا: رُطْبٌ مِنَ الْأَرْدَنِ، قَالَ: عَلَامَ جِئَ بِهِ؟ قَالُوا:
عَلَى دَوَابِ الْبَرِيدِ، قَالَ: فَا جَعَلَنِي اللَّهُ أَحَقَ بِدَوَابِ

(٦٠)

البريد من المسلمين ، آخر جوهرها فسيحونها ، واجعلوا
ثمنها في علف دواب البريد ، وشتراها في السوق
من أخيه وأهدى إلهاها إليه ، فأكل و قال :
الآن طاب أكله .

و دخل على بناته ذات ليلة ، فوضع أيديهن
على أفواههن ، فقال للحاضرة : ما شاههن ؟ قالت :
لم يكن عندهن شيء يتشين إلا عدس و بصل ،
فكروهن أن تشم ذلك من أفواههن ، فبكى عمر ، ثم
قال لهن : يا بناتي ما ينفعن أن تشنن الألوان
و يمرون لأنفسهم إلى النار ، فبكين حتى علت أصواتهن ،
و وضع عمر حلزوجيد في يدي المالي ، و أرجع
مزارعه إلى ما كانت عليه في عهد الرسول عليه .

و إذا كان في حوائج العامة كتب على الشمع ،
و إذا صار إلى حاجة نفسه دعا بسراجه .

و قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس ، حتى لم يوجد
فقيئ في بلاد المسلمين ، ولم يوجد أحد يأخذ الصدقات .
و كان لا يؤخر عمل اليوم للغد ، ولا يتعجز ، قال

بعض إخواته: يا أمير المؤمنين! لو ركبت قرروحة ، قال:
 فلن يقضى شغل ذلك اليوم ؟ قال: تقضيه من الغدو ،
 قال: لقد ثقل عمل يوم واحد فكيف إذا اجتمع عمل
 يومين ؟
 مات عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١

٢٨) في بيت أبي أيوب الانصاري

قال سيدنا أبو أيوب رضي الله عنه :
 « لما نزل على رسول الله عليه السلام في بيته نزل في السفل ،
 و أنا وأم أيوب في العلو ، فقلت له : يابن الله
 يابن أنت وأمي إني لا ذرة وأعظم أن تكون فوقك
 و تكون تحتي ، فاطلب أنت فكن في العلو ، و نزل
 نحن فنكرون في السفل ، فقال : يا أبا أيوب ! إن أرفق
 بنا و يمن يعشانا أن تكون في سفل البيت .
 قال : فكان رسول الله عليه السلام في سفله و كنا
 فوقه في المسكن ، فلقد انكسر حب لنا فيه ماء ، فقمت

أَمَا وَأَمَّا أَيُوبَ يَقْعِدُ فِي أَرْضِهِ لَنَا ، مَا لَنَا لِحَافٌ غَيْرُهَا ، نَشِفُ بِهَا
 الْمَاءَ تَخْوِفًا أَنْ يَقْطُرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمَسْكُنُ مِنْهُ شَيْءٌ فَيُؤْذِنُهُ
 قَالَ : وَكَنَّا نَصْنَعُ لَهُ الْعَشَاءَ ، ثُمَّ نَبْعَثُ إِلَيْهِ
 فَإِذَا رَدَ عَلَيْنَا فَضْلُهُ تَبَعَّدُتْ أَنَا وَأَمَّا أَيُوبَ مَوْضِعُ يَدِهِ
 فَأَكْلَنَا مِنْهُ نَبْغِي بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ حَتَّى بَعْثَنَا إِلَيْهِ لِيَلَهُ
 بَعْشَائِهِ ، وَقَدْ جَعَلْنَا لَهُ فِيهِ بَصَلًا أَوْ ثُومًا ، فَرَدَهُ
 رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمَسْكُنُ ، وَلَمْ أَرْ لِيَدِهِ فِيهِ أَثْرًا ، قَالَ : فَخَشِبْتُهُ
 فَزِعًا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا بْنَ أَنَّ وَأَمَّى أَرَدَدْتَ
 عَشَاءَكَ ، وَلَمْ أَرْ فِيهِ مَوْضِعَ يَدِكَ ، وَكُنْتَ إِذَا
 رَدَدْتَهُ عَلَيْنَا تَبَعَّدُتْ أَنَا وَأَمَّا أَيُوبَ مَوْضِعُ يَدِكَ ، نَبْغِي
 بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ .

قَالَ : إِنِّي وَجَدْتُ فِيهِ رِبْعَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، وَأَنَا
 رَجُلٌ أَنَّا جِئْنِي ، فَمَمَّا أَتَمْ فَكُلُوهُ .

قَالَ : فَأَكْلَنَاهُ ، وَلَمْ نَصْنَعُ لَهُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ

بَعْدًا .

(سَيِّدَةُ بْنِ هِشَامٍ)



٣٩) الْأَمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنْسٍ

وُلِدَ الْأَمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنْسٍ سَنَةَ ثَلَاثَةِ وَتَسْعِينَ فِي الْمَدِينَةِ الْمُتَوَرَّةِ، وَسَمِعَ الزُّهْرِيَّ وَنَافِعًا مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ، وَأَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ رَبِيعَةِ الرَّأْيِ، وَقَالَ : قَلْ رَجُلٌ كُنْتُ أَتَعْلَمُ مِنْهُ مَامَاتْ حَتَّى كَعَنَّنِي وَيَسْقَيْنِي .
وَكَانَ لَهُ شَانٌ عَظِيمٌ فِي الْعِلْمِ يَرْجِلُ النَّاسَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَفَاقِ، وَيَزْدَحِمُونَ عَلَيَّ بِاهِلِ الْأَخْذِ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ كَأَزْدِحَامِهِمْ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ، وَكَانَ النَّاسُ يَفْتَخِرُونَ بِالرَّوَايَةِ عَنْهُ، وَكَانَ ذَلِكَ شَرْفًا كَبِيرًا فِي عَصْرِهِ، فَإِذَا قَالَ أَحَدٌ : حَدَّثَنِي مَالِكٌ، رَفَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ أَبْصَارَهُمْ .

وَكَانَ إِلَيْهِ الْمُنْتَهَى فِي الْفِقْهِ وَالْفَوْسَى . قَالَ ابْنُ وَهْبٍ : سَمِعْتُ مَنَادِيَا يَتَنَادِي بِالْمَدِينَةِ : أَلَا، لَا يَفْتَنِ النَّاسَ إِلَّا مَالِكُ بْنُ أَنْسٍ، وَابْنُ أَنْسٍ ذَثِيبٌ، وَمِنَ الْأُمَّالِ السَّائِرَةِ : لَا يَفْتَنِي وَمَالِكٌ فِي الْمَدِينَةِ .

وَكَانَ كَثِيرُ الْأَدِبِ، شَدِيدُ التَّعْظِيمِ لِحَدِيثِ رَسُولِ

اللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحَدِّثَ اغْتَسَلَ وَتَطَبَّبَ وَلَسَّ
 ثِيَابَاهَا جُدَّدَا ، وَتَعَمَّمَ وَقَعَدَ بِخُشْبُوعٍ وَخُضْبُوعٍ وَوَقَارٍ ،
 وَتَبَخَّرَ بِالْعُودِ مِنْ أَوْلَاهُ فَلَا يَرَأُلُ يَتَبَخَّرُ إِلَى فَرَاعَهُ ،
 وَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَحِبُّ أَنْ أَعْظَمَ حَدِيثَ
 رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَلَا أَحِدَّثَ بِهِ إِلَّا مَتَمَّنَاهَا عَلَى طَهَارَةٍ ،
 وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُحَدِّثَ عَلَى الطَّرِيقِ ، أَوْ مُسْتَعْجِلًا ،
 وَيَقُولُ : أَحِبُّ أَنْ أَقْهِمَ مَا أَحَدَثَ بِهِ عَنْ رَسُولِ
 اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ مُبَارَكٍ : كُنْتُ عِنْدَ مَالِكٍ ، وَهُوَ
 يُحَدِّثُنَا ، فَلَدَعْتُهُ عَقْرَبًا مِسْتَ عَشْرَةَ مَرَّةً ، وَمَالِكٌ
 يَتَغَيِّرُ لَوْنَهُ ، وَلَا يَقْطَعُ الْحَدِيثَ ، فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ
 قَالَ : إِنَّمَا صَبَرْتُ إِجْلَالًا لِلْحَدِيثِ .
 وَكَانَ لَا يُؤْكِبُ فِي الْمَدِينَةِ عَلَى ضُعْفِهِ وَكِبَرِ سِنِّهِ ،
 وَيَقُولُ : لَا أُرْكِبُ فِي مَدِينَةٍ فِيهَا جُنَاحَةُ رَسُولِ اللَّهِ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ مَدْفُونَةً .

وَكَانَ بِجَلِسَةِ جَمِيلَ وَقَارِ وَحِيلِ ، وَكَانَ رَجُلًا
 مَهِينًا بَنِيَّلًا ، لَيْسَ فِي جَمِيلِهِ شَيْءٌ مِنَ الْمُرَاوَ وَالْغَطَرِ ،

وَ لَارْفَعْ صَوْتٍ ، وَ كَانَ الْغُرَيْبَاءُ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْحَدِيثِ
فَلَا يُجِيبُ إِلَّا فِي الْحَدِيثِ بَعْدَ الْحَدِيثِ .

سَأَلَ هَارُونُ الرَّشِيدَ مَالِكًا أَنْ يَأْتِيَ فَانِي ، فَأَتَى
هَارُونُ مَالِكًا ، وَ هُوَ فِي مَنْزِلِهِ ، وَ مَعَهُ بَنُوهُ ، وَ سَأَلَ أَنْ
يَقْرَأُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : مَا فَرَأَتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْذُ زَمَانِ ،
وَ إِنَّمَا يَقْرَأُ عَلَيَّ ، فَقَالَ هَارُونُ : أَخْرِجِ النَّاسَ حَتَّى
أَقْرَأَ أَنَا عَلَيْكُمْ ، فَقَالَ : إِذَا مَنَعَ الْعَامَ لِبَعْضِ الْخَاصِّ
لَمْ يَتَفَعَّلْ الْخَاصُّ .

وَ دَخَلَ مَالِكٌ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَنْصُورٍ ، وَ هُوَ عَلَى
فِرَاسَةٍ إِذْ جَاءَ صَنِيْعٌ يَخْرُجُ ثُمَّ يَرْجِعُ ، فَقَالَ لِي : أَتَدْرِي
مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : لَا أَقَالَ ، أَبْنِي ، وَ إِنَّمَا يَفْزَعُ مِنْ هَيْبَتِكَ .
وَ فِي سَنَةِ سَبْعَ وَ أَرْبَعِينَ وَ مِائَةٍ ضُرِبَ مَالِكٌ
سَبْعِينَ سَوْطًا لِأَجْلِ فَتُوَيِّ لَمَّا تُوَافَقَ غَرَضُ السُّلْطَانِ ،
فَضَيَّبَ وَ دَعَا بِهِ ، وَ جَرَّدَهُ وَ ضَرَبَهُ بِالسَّيَاطِيرِ ، وَ مُدَّثَّ
يَدُهُ حَتَّى اخْلَعَتْ كَتِفْهُ ، فَلَمَّا يَزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الضَّرِبِ فِي
عُلُوٍّ وَ رِفْعَةٍ ، وَ كَانَمَا كَانَتْ تِلْكَ السَّيَاطِيرُ حَلِيًّا حُلِيًّا بِهِ .
وَ كِتَابُهُ الْمُوْطَأُ مِنْ أَشْهَرِ كُتُبِ الْحَدِيثِ ، وَ مِنْ

الْكُتُبِ الْمُقْبُلَةِ فِي الْاسْلَامِ ، رَزَقَكَ اللَّهُ قِرَاءَتَهُ ،
 وَالْإِتِّفَاعَ بِهِ ، وَسَيَكُونُ ذَلِكَ (إِنْ شَاءَ اللَّهُ) فِي يَضْعِ
 مِنْيَنَ إِذَا تَقَدَّمْتَ فِي الْعِلْمِ .
 تُؤْتَى مَالِكُ سَنَةَ تِسْعَ وَسَبْعِينَ وَمِائَةً .

٣٦) القاطرة

—(١)—



ذَهَبَ رَشِيدٌ مَعَ أَيْهُ سَعِيدٍ إِلَى الْمَحَطةِ يَسْتَقِلُ
 أَخَاهُ حَمْوَدَاً ، وَكَانَ قَادِمًا مِنْ دِيُوبَنْدِ فِي مَسَاحَةٍ
 عِيدِ الْأَضْحَى .

(٦٧)

وَكَانَ الْقِطَارُ مُتَّخِرًا ، فَأَخَذَ سَعِيدٌ يَتَحَوَّلُ عَلَى
الْمَحَطةِ يُحَدِّثُ رَشِيدًا عَنِ الْقِطَارِ وَنِيَامِ الْمَحَطةِ ، وَأَنْتَلَ
مَعَهُ إِلَى رَصِيفِ آخَرَ .

وَكَانَ قِطَارٌ وَّاقِفًا هُنَا تَصْفِرُ قَاطِرَتُهُ ، وَيَخْرُجُ
مِنْهَا بُخَارٌ كَيْفُ مُتَصَاعِدٌ

قَالَ رَشِيدٌ : حَدَّثْنِي الْيَوْمَ يَالَّى ! عَنِ الْقَاطِرَةِ
كَيْفَ تَجْرِي الْقِطَارَ ، وَكَيْفَ تُسْرِعُ فِي السَّيْرِ ؟
قَالَ سَعِيدٌ : لَقَدْ سَأَلْتَ يَهِ حَيْرًا فَقَدْ كُنْتُ مُؤْظَفًا
فِي الْقِطَارِ ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْهَا فِي تَفْصِيلٍ ، فَقُمْ بِجَانِبِي
أَمَامَ هَذِهِ الْقَاطِرَةِ وَلَا حَظْهَا .

أَنْظَرَ يَارَشِيدُ : إِلَى الْقَاطِرَةِ تَرَهَا صُنِعَتْ مِنَ الْمُحِيدِنِ
وَلَهَا سِتُّ بَعْلَاتٍ تَسْيِيرٌ عَلَيْهَا وَهِيَ قَوِيَّةٌ جِدًا كَأَنَّهَا عَفْرَتٌ
مِنَ الْجِنِّ ، تَجْرِي قِطَارَ الْبِضَاعَةِ ، وَهُوَ طَوِيلٌ وَثَقِيلٌ جِدًا ،
وَتَحْرِي قِطَارَ الرُّكَابِ وَفِيهِ النَّاسُ وَأَشْفَالُهُمْ ، وَتَجْرِي
الْقِطَارَ السَّبَاقَ ، وَهُوَ أَسْرَعُ الْقُطُرِ يَقْطَعُ خَمْسَةَ
وَأَرْبَعِينَ مِيلًا فِي السَّاعَةِ .

وَالْقِطَارُ السَّرِيعُ يَقْطَعُ تَحْوِي أَرْبَعِينَ مِيلًا فِي

السَّاعَةِ، وَالْقِطَارُ الْوَقَافِ يَقْطَعُ نَحْوَ ثَلَاثَيْنَ مِيلًا فِي السَّاعَةِ، تَجْرِيُّ الْقِطَارَ مِنْ أَقْصَى الْهِنْدِ إِلَى أَقْصَاهَا، مَثُلًا مِنْ يَمْبُجِ إِلَى يَشَّاوَرَ، وَمِنْ دَهْلِي إِلَى مَدْرَاسَ.

وَفُورَةُ هَذِهِ الْقَاطِرَةِ إِنَّمَا هِيَ الْبَخَارُ الْحَقِيرُ الَّذِي لَا تَبْغِي بِهِ، وَلَا تُحَمِّبُ لَهُ حِسَابًا، وَقَدْ اهْتَدَى «اسْتِيقْنَسْ» مُخْرِجُ الْقِطَارِ إِلَى فُورَةِ هَذَا الْبَخَارِ، وَاهْتَدَى إِلَى تَسْخِيرِهِ وَالْإِتْفَاعِ بِهِ فِي الْأَغْرَاضِ، وَعَلِمَ بِعَقْلِهِ وَدِرَاسَتِهِ أَنَّهُ يَقْوِيُهُ يَحْمِلُ الْأَثْقَالَ، وَيَنْقُلُ الْجِبَالَ، وَيَأْتِي بِالْعَجَافِ. وَذَلِكَ هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْجَاهِلِ وَالْعَالَمِ، وَبَيْنَ الْعَامِيِّ وَالْمُكْتَشِفِ، يَرَى الْأَوَّلُ كُلَّ شَيْءٍ فَلَا يَرْفَعُ بِهِ رَأْسًا، وَلَا يُلْقِي عَلَيْهِ بَالًا، وَيَرَاهُ الثَّانِي فَيَعْرِفُ قِيمَتَهُ وَيَجْتَهِدُ فِيهِ، حَتَّى يُسْحَرَهُ لِغَرْضِهِ.

الْقَاطِرَةُ (٣)

— (٢) —

أَنْظُرْ يَارَشِيدَ إِلَى هَذَا الْمُوْقِدِ فِي الْقَاطِرَةِ، يُلْقِي قِبَهُ الرَّجُلُ الْفَخْمُ الْحَجَرِيَّ، وَفُوقَ هَذَا الْمُوْقِدِ حَوْضٌ مِنْ مَاءٍ سَمِينٍ جِدًا وَفِيهِ أَنَّابِيبٌ عَدِيدَةٌ يَسْخَنُ هَذَا الْمَاءُ

بِالنَّارِ وَ يَتَحَوَّلُ بَخَارًا، وَ يَتَعَلَّمُ هَذَا الْبَخَارُ إِلَى الْأَنَابِيبِ
وَ تَعَالَ مَعِيَّ نَدْخُلُ فِي الْقَاطِرَةِ، فَإِنَّ سَاقَهَا مِنْ
أَصْدِقَائِيْ. وَ هُنَّا نَقْسِمُ تَرْكِيبَ الْقَاطِرَةِ جِيدًا.

أُنْظُرْ إِلَى الْأَنَابِيبِ، إِنَّهَا مُتَصِّلَةٌ بِهَذِهِ الْأَلَاتِ
الدَّيْقِيْقَةِ الَّتِي تُدْرِرُ عَجَلَاتِ الْقَاطِرَةِ، فَإِذَا اجْتَمَعَ هَذَا
الْبَخَارُ فِي الْأَنَابِيبِ دَفَعَ بِقُوَّتِهِ الْأَلَاتِ، فَأَدَارَهَا
وَ بَدَوَرَ إِلَيْهَا نَدْوَرُ الْعَجَلَاتِ، وَ سَيِّرَ الْقَاطِرَةَ.

وَ هَذَا هُوَ الْوَقَادُ الَّذِي يَرَاقِبُ النَّارَ وَ الْمَاءِ،
وَ يُشَرِّفُ عَلَيْهِمَا. وَ هَذَا صَدِيقُنَا السَّائِقُ، وَ إِذَا كَانَتِ
الْقَاطِرَةُ تَجْرِيْ القِطَارَ، وَ تُوَصِّلُ الرُّكَابَ مِنْ دِيَارِ إِلَى
دِيَارِ، فَصَاحِبُنَا يَسْوُقُ الْقَاطِرَةَ، فَهُوَ مِفْتَاحُ الْقِطَارِ، وَ إِلَيْهِ
يَرْجِعُ الْفَضْلُ فِي سَيِّرِ الْقِطَارِ وَ هُوَ يَسْهُرُ عَلَىْ عَمَلِهِ،
وَ يَقُولُ بِوَاجِهِ بِأَمَانَةٍ وَ جِدَّ، وَ كَذَلِكَ أَمِينُ الْقِطَارِ
يَسْتَحِقُ الشُّكُرَ مِنَ الرُّكَابِ، فَإِنَّهُ يُلْكِحُ حِظًّا الْطَّرِيقَ وَ يَلْهُظُ
وَ قُوَّفُ الْقِطَارِ وَ سَيِّرَةِ، وَ السَّائِقُ وَ الْقَاطِرَةُ طَرْوَعُ
إِشَارَتِهِ، فَإِذَا هَزَ الْبَيْرَقُ الْأَكْمَرُ وَ قَفَ الْقِطَارُ، وَ إِذَا هَزَ
الْبَيْرَقُ الْأَخْضَرُ تَحْرَكَ الْقِطَارُ.

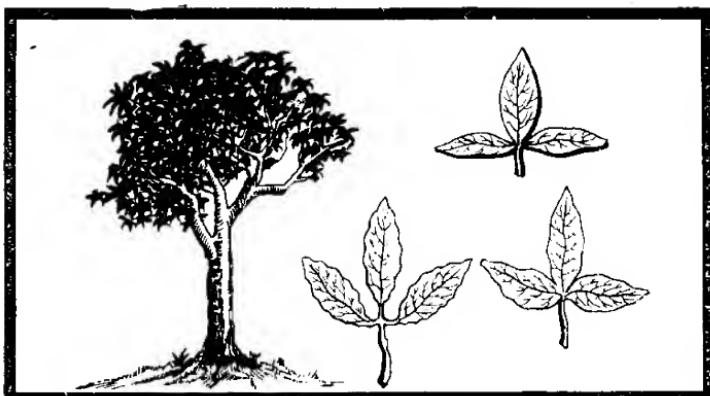
وَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْأَلْقَاتِي فِي يَدِ السَّاقِ هَذِهِ... فَإِذَا
رَفَعَهَا السَّاقُ إِلَى فَوْقَ، اندفعَ الْبُخَارُ وَمَارَتِ الْقَاطِرَةُ،
وَإِذَا ضَغَطَ عَلَيْهَا سَكَنَ الْبُخَارُ وَمَدَأَتِ الْقَاطِرَةُ، حِينَئِذٍ
يَضْغَطُ السَّاقُ عَلَى آلَهَيْ أُخْرَى، وَهِيَ هَذِهِ وَتُسَمَّى الْمَصَدَّ،
وَتَقْفَ الْقَاطِرَةُ مِنْ سَاعِتِهَا، وَالْعَرَبَاتُ كُلُّهَا مُرْكَبَةٌ
بِالْقَاطِرَةِ سَيِّرُهَا، وَتَقْفَ بِوْقُوفِهَا.

وَهَذَا هُوَ الْخَطُّ الْحَدِيدِيُّ الَّذِي يَسِيرُ عَلَيْهِ الْقِطَارُ،
وَلَوْلَا هُوَ لِغَاصَ الْقِطَارُ فِي الْأَرْضِ، لِأَنَّ التُّرْبَةَ
لَا تَحْمِلُ ثِقْلَ الْقِطَارِ.

هَذِهِ هِيَ الْقَاطِرَةُ الَّتِي تَجْرِي الْقِطَارَ، وَهَذَا هُوَ الْقِطَارُ الَّذِي
يُوَصِّلُ الرِّكَابَ مِنْ دِيَارِ إِلَى دِيَارِ، وَيَحْمِلُ أَنْقَالَ النَّاسِ
إِلَى بَلَدٍ لَمْ يَكُونُوا بِالْعِيْدِ إِلَّا يُشَقَّ الْأَنْفُسُ
أَنْظُرْ يَارَشِيدَ! كَيْفَ أَهْمَمَ اللَّهُ الْأَنْسَانَ الْحِكْمَةَ
وَالصَّنَاعَةَ، وَرَزَقَهُ الْعُقْلُ الَّذِي يُسَخِّرُ بِهِ الْحَدِيدَ
وَالْبُخَارَ، أَفَلَا يَحْقِّي لَكَ أَنْ تَقُولَ إِذَا رَكِنْتَ الْقِطَارَ:
«سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ،
وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ».

جِسْمُ النَّبَاتِ

— (١) —



كَانَ أَمَامَ يَسْتِعْبَاسَ حَدِيقَةً فِيهَا أَنْوَاعُ الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ، قَالَ لَهُ أَبُوهُ عُمَرُ مَرَّةً فِي يَوْمٍ عُطْلَةً: هَلْ رَأَيْتَ يَاعَبَاسُ! حَدِيقَةَ الدَّارِ؟

قَالَ عَبَّاسٌ: كَيْفَ لَا يَأْفِي! وَهِيَ حَدِيقَةُ دَارِنَا، أَلْعَبْ فِيهَا كُلَّ يَوْمٍ وَأَرْدَدَ إِلَيْهَا صَبَاحَ مَسَاءً.

قَالَ عُمَرُ: مَا أَظْنَكَ رَأَيْتَهَا! فَتَعَالَ مَعِنِي تَمَسَّشَ فِي الْحَدِيقَةِ وَنَدَرْسَ النَّبَاتَ، فَإِنَّهُ مِنْ بَعْجَائِبِ خَلْقِ اللَّهِ، وَكِتَابٌ يَجِبُ أَنْ تُطَالِعَهُ.

خَرَجَ عُمَرُ وَعَبَّاسٌ إِلَى الْحَدِيقَةِ، فَرَأَى عَبَّاسٌ

(٧٢)

البُسْتَانِيَّ يُصلِحُ قِطْعَةً مِنَ الْأَرْضِ ، وَ يُنْعَى الْحَجَرُ
وَ الْحَرْفَ ، وَ يَقْلِعُ الْحُشَائِشَ وَ الْأَعْشَابَ ، فَسَأَلَ عَبَّاسٌ
أَبَاهُ عَنْ ذَلِكَ .

قَالَ عُمَرٌ : الرَّجُلُ يُصلِحُ الْأَرْضَ وَ يَهِيئُهَا لِغَرسِ الْأَشْجَارِ ،
فَإِذَا بَقِيَتِ الْأَحْجَارُ وَ الْحَرْفُ لَمْ يَبْتَقِي الْفَسِيلُ فِي
الْأَرْضِ ، وَ لَمْ يَمْتَدَّ جُدُورُهُ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ ، وَ إِذَا
تَرَكَتْ هَذِهِ الْحُشَائِشُ الشَّيْطَانِيَّةُ امْتَصَتْ عِنْدَاهُ الْفَسِيلُ
وَ دَوْيُ الْفَسِيلِ ، وَ الْبُسْتَانِيُّ النَّاصِحُ الْمُجَاهِدُ يَحْرُثُ الْأَرْضَ
كَمَا يَحْرُثُ الْفَلَاحَ الْحَقْلَ ، وَ يُلْقِي فِيهَا السَّمَادَ وَ يَسْقِيَهَا
كُلَّ يَوْمٍ ، حَتَّى تُبْسِحَ الْأَرْضُ رِخْوَةً كَرِيمَةً ، تَقْبَلُ كُلَّ
مَا يُلْقَى فِيهَا .

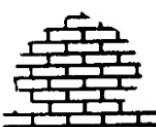
ثُمَّ يَعِرِسُ الْفَسَائِلَ فِي مَكَانٍ تَصِلُّ إِلَيْهِ الشَّمْسُ
كُلَّ يَوْمٍ .

مَنَا قَاطَعَهُ عَبَّاسٌ وَ قَالَ : وَهَلْ يَحْتَاجُ النِّسَاتُ
أَيْضًا إِلَى الشَّمْسِ ؟
قَالَ عُمَرٌ : نَعَمْ ! يَا عَبَّاسَ إِنَّ الْبَاتُ جَسْمٌ حَتَّى يَامٍ
يَحْتَاجُ إِلَى الشَّمْسِ وَ الْهَوَاءِ وَ الْمَاءِ .

وَ اسْتَمَرَ عُمُرٌ فِي حَدِيثِهِ ۝ مُمْ يَعْرِسُ الْفَسَائِلَ فِي
 صَفٌّ وَ يَرْكُ بَيْنَ فَسِيلَيْنِ فُسْحَةً يَنْكُنُ لِكُلِّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمَا أَنْ يَمْتَدَّ فِيهَا ، وَلَا يُضَاقَ بَعْضُهَا بَعْضًا ۝ .
 وَيَخْسُنُ أَنْ تَكُونَ الْفَسَائِلُ أَثْرَابًا فِي سِنٍّ وَاحِدَةٍ ،
 وَإِذَا كَانَتْ ذَاتَ أَزْهَارٍ فَلَا زَهَارِهَا مِنْعَادٌ وَاحِدٌ ،
 لِتَمَ جَمَلُ كُلٌّ صَفَّ مِنْ صُفُوفِهَا ۝ .

وَلَا يَسْرِيْخُ الْبُسْتَانِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ ، بَلْ يَسْهُرُ عَلَى
 هَذَا الْفَسَائِلِ ، فَلَا يَنْذَلُ يَسْقِيَهَا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ ،
 وَيَقْلُمُ الْمَحَاشِشَ ، وَيَعْزِقُ الْأَرْضَ حَوْلَهَا ، فَيَجْعَلُ
 بَاطِنَهَا ظَاهِرَهَا ۝ .

هُنَا فَرَغَ الْبُسْتَانِيُّ مِنْ إِصْلَاجِ الْأَرْضِ وَ ذَهَبَ
 يَنْقُلُ فَسِيلًا ، فَتَبِعَهُ عُمُرٌ وَعَبَاسٌ ، وَوَقَفَا بِجَانِهِ .



جَسْمُ النَّبَاتِ ③

— (٢)

حَفَرَ الْبُسْتَانِيُّ الْأَرْضَ حَوْلَ الْفَسِيلِ يَا حِزَارِيْسِ،
كَانَهُ يَخَافُ شَيْئاً، فَسَأَلَ عَبَّاسَ وَالِدَّهُ عَنْ ذَلِكَ، وَقَالَ:
لِمَذَا يَتَوَانَى الْبُسْتَانِيُّ فِي شُغْلِهِ، وَلَا يُعْجِلُ؟

قَالَ عُمَرُ : هُوَ يَخَافُ أَنْ يَقْطَعَ بَعْضَ الْجُذُورِ
فَيَضُرُّ بِالْفَسِيلِ ، وَرُبَّمَا يَمُوتُ ، لِأَنَّ الْجُذُورَ لَازِمَةٌ
لِلشَّجَرَةِ وَهَا حَيَاتُهَا .

قَالَ عَبَّاسُ : وَمَا فَائِدَةُ الْجُذُورِ وَمَا شَغَلَهَا حَتَّى
لَا تَحْيَا الشَّجَرَةُ بِغَيْرِهَا .

قَالَ عُمَرُ : النَّبَاتُ إِنَّمَا يَثْبُتُ فِي الْأَرْضِ بِالْجُذُورِ
فِيهِ الَّتِي تَمْتَصُ الْغِذَاءَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَتَبْحَثُ عَنْهُ ،
أَلَا تَرَاهَا مُمْتَدَّةً مُتَسَعِّيَةً فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ ، كَانَهَا
جَوَامِيسٌ وَعِيُونٌ فَرِدَ ابْنَتُ لِعَمِلِهَا .

عَبَّاسُ : وَمَا هِيَ الْأَجْزَاءُ الْلَّازِمَةُ لِلنَّبَاتِ غَرِّ
الْجُذُورِ؟

قَالَ عُمَرُ : مِنَ الْأَعْضَاءِ الْلَّازِمَةِ لِلنَّبَاتِ السَّاقُ ،

(٧٥)

وَهُوَ الْجُزْءُ الْبَارِزُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَهُوَ الَّذِي يَحْمِلُ
الْفُرْوَعَ وَالْأَوْرَاقَ ، وَيَسِّيلُ فِيهِ غِذَاءَ الشَّجَرَةِ ، وَيَنْتَهِي
إِلَى أَجْزَائِهَا .

وَالْآخِرُ الْلَّازِمُ لِلنَّبَاتِ الْأَوْرَاقُ وَهَا يَنْتَهِي
النَّبَاتُ ، وَيَأْخُذُ مِنَ الْهَوَاءِ مَا يُصْلِحُ لِحَيَاةِهِ .
وَهَذِهِ الْتَّلَاثَةُ : الْجُذُورُ ، وَالسَّاقُ ، وَالْأَوْرَاقُ ، هِيَ
أَعْضَاءُ النَّبَاتِ الْلَّازِمَةُ لِحَيَاةِ وَنَمَائِهِ ، وَيَكْفِيَكَ يَابَّاسُ :
هَذَا الدَّرْسُ الْأَوَّلُ عَنِ النَّبَاتِ .

قَالَ عَبَّاسٌ : عَجَبًا يَا أَيُّهَا الْمَكْتُوبُ أَعْرِفُ مِنْ
قَبْلِ أَنَّ النَّبَاتَ جِسْمٌ حَتَّىٰ تَامٌ ، لَهُ تَرْكِيبٌ دَقِيقٌ .

قَالَ عُمَرُ : وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ ، فَإِذَا دَرَسْتَهُ كِتَابًا
تَعْجَبَتْ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَعَرَفْتَ
أَنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ آيَةً لِلَّهِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِينَكَةٍ

وَفِي كُلِّ تَسْكِينَةٍ شَاهِدُ

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ

يَدْلِلُ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

٣٤ الْبَيْعَاءُ

أَفْتَهَا صَيْحَةً مَلِحَةً
نَاطِقَةً بِالْلَّفْظِ الْفَصِيحَةِ
عُدَّتْ مِنَ الْأَطْيَارِ وَاللِّسَانِ
يُوَهْنِي بِأَنَّهَا إِنْسَانٌ
تُهْنِي إِلَى صَاحِبِهَا الْأَخْبَارَ
وَ تَكْشِفُ الْأَسْرَارَ وَ الْأَسْتَارَ
بَكْمَاءٍ إِلَّا أَنَّهَا سَيْئَةٌ
تُعِنِّدُ مَا تَسْمَعُهُ طِيعَةٌ
زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا الْعِيْدَةُ
وَ اسْتَوْطَنَتْ عِنْدَكَ كَالْعِيْدَةُ
ضَيْفٌ قِرَاهُ الْجُوزُ وَ الْأَرْزُ
وَ الضَّيْفُ فِي إِتْيَاهِ يَعْزِزٍ
قِرَاهُ فِي مِنْقَارِهِ الرِّيقِ
كَلُؤُلُؤٌ يَلْقُطُ بِالْعَقِيقِ

(٧٧)

تَنْظُرٌ مِنْ طَرْفَيْنِ كَالْفَصَيْنِ
 فِي التُّورِ وَ الظُّلْمَةِ بِصَاصَيْنِ
 خَرِيدَةٌ خُدُورُهَا الْأَقْصَاصُ
 لَيْسَ لَهَا مِنْ حَبِسَهَا خَلَاصٌ
 تَحْبِسَهَا وَ مَاهِنَهَا مِنْ ذَنْبٍ
 وَ إِنَّمَا ذَاكَ لِفَرْطِ الْحُبِّ
 (أَبُو إِحْمَانِ الصَّابِقِ)

٣٥ الحجاج والفتية

أَمْرَ الْحَجَاجُ صَاحِبُ حَرَسِهِ أَنْ يَطُوفَ لِيَّاً ،
 فَنَّ رَآهُ بَعْدَ الْعِشَاءِ سَكُرًا نَضَرَ بَعْنَقَهُ ، فَطَافَ لِيَّاً مِنَ
 الْبَيْانِ فَوَجَدَ ثَلَاثَةَ فِتَيَانٍ يَتَمَالُونَ ، وَ عَلَيْهِمْ أَمَارَاتُ
 السُّكْرِ ، فَأَحَاطَتْ بِهِمُ الْغُلْمَانُ وَ قَالَ لَهُمْ صَاحِبُ الْحَرَسِ :
 مَنْ أَتْهُمْ حَتَّى خَالَفُمُ أَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَ خَرَجُوكُمْ
 فِي يَمْلِي هَذَا الْوَقْتِ ؟ فَقَالُوا أَحَدُهُمْ .

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتِ الرِّقَابُ لَهُ
 مِنْ بَيْنِ مَخْرُومِهَا وَ هَاسِهَا

تَأْتِيهِ بِالرَّغْمِ وَهِيَ صَاغِرَةٌ
يَأْخُذُ مِنْ مَا لِهَا وَمِنْ دِمَهَا
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَهُ مِنْ أَقَارِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
فِيمَ قَالَ لِلآخرِ وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ ؟ فَقَالَ :
أَنَا ابْنُ مَنْ لَا تَنْزِلُ الدَّهْرُ قِدْرُهُ
وَإِنْ تَرَكَتْ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ
فِيهِمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقُعُودٌ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَهُ ابْنُ أَشْرَفِ الْعَرَبِ .
فِيمَ قَالَ لِلآخرِ : وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ ؟ فَأَنْشَدَ قَائِلًا :
أَنَا ابْنُ مَنْ خَاصَ الصُّفُوفَ بِعَزْمِهِ
وَقَوْمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَقَامَتِ
رِكَابَهُ لَا تَنْفَكُ رِجْلَاهُ مِنْهَا
إِذَا الْحَيْلُ فِي يَوْمِ الْكَرِيمَةِ وَلَتْ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَهُ ابْنُ أَشْجَعِ الْعَرَبِ ،
وَاحْتَفَظَ بِهِمْ .
فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ رَفَعَ أَمْرَهُمْ إِلَى الْأَمِيرِ ، فَأَخْضَرَهُمْ

وَكَشَفَ عَنْ حَالِهِمْ، فَإِذَا الْأَوَّلُ ابْنُ حَجَّامٍ، وَالثَّالِثُ ابْنُ
خُضْرَىٰ، وَالثَّالِثُ ابْنُ حَائِلَىٰ، فَتَعَجَّبَ مِنْ فَصَاحَبِهِمْ،
وَقَالَ لِجَلْسَائِهِ: عَلِمْوَا أَوْ لَادِكُمُ الْأَدَبَ، فَوَاللَّهِ لَوْلَا فَصَاحَبَهُمْ
لَصَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ.

﴿٤﴾ أَنَّا تَرَابٌ

أَنَّا تَرَابٌ حَقِيقَةٌ يَطَافُ النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ وَنِعَالِهِمْ،
وَيَضْرِبُونَ بِي مَثَلًا فِي الْحِقَارَةِ وَالذُّلِّ.
النَّاسُ يَسْتَفِعُونَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ
وَزَمَانٍ، مُمَّا يَحْتَقِرُونَ وَيَهْجُونَ، كَالشَّعِيرِ يُؤْكَلُ وَيُذَمَّ.
فَقِنِي مَنَا كِبِيْ يَمْشِي النَّاسُ، وَعَلَىٰ ظَهِيرِي يَسْتَوْنَ
مُبْوَتًا وَمَبَانِي عَظِيمَةً، وَمِنْ بَطْنِي تَخْرُجُ لِلنَّاسِ حُبُوبٌ
يَأْكُلُهَا النَّاسُ، وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانُ،
وَالشَّخْلُ وَالزَّرْعُ مُخْتَلِفًا أُكَلُهُ.
وَمِنْ بَطْنِي يَخْرُجُ ذِلْكَ الْقُطْنُ الَّذِي يُدْرِكُ سَكُونَكُمْ
وَكِسْوَتُكُمْ فِي الصَّيْفِ وَالشَّتَاءِ، وَسَرَابِيلُ تَقْنِيْكُمُ الْحَرَّ.

وَ فِي لِبَاسِ الْحَرِيرِ أَيْضًا يُرْجِعُ إِلَيَّ الْفَضْلُ ،
فَإِنَّ دُوَّدَةَ الْقَزِّ تَعْدِي مِنْ وَرَقِ التُّوتِ ، وَ مِنْ تَعْدِي
شَجَرَةُ التُّوتِ ، وَ عَلَيْهِ تَسْمُو وَ تَعْيَشُ ، وَ عَلَى ظَهْرِي
تَخْفِرُونَ السُّرَّ إِلَيْهِ تَشْرُبُونَ مَاءَهَا ، وَ عَلَى ظَهْرِي تَخْرِي
الْأَكْنَامَ إِلَيْهِ تَسْقِيْكُمْ ، وَ سُقْيَ زُرُوفُكُمْ .

وَ مِنَ الطَّيْنِ يَبْنِي الْفَحَارِيُّ الْأَوَانِيَّ وَ الظَّرْفَ ، إِلَيْهِ
تَأْكُلُونَ فِيهَا وَ تَشْرُبُونَ ، وَ اللَّعْبُ وَ الدَّمْعُ إِلَيْهِ يَلْعَبُ
يَهَا الْأَطْفَالُ .

وَ هَلْ تُصَدِّقُونَ إِذَا أَخْبَرْتُكُمْ بِأَنَّ مَادَةَ هَذَا
الْكِتَابِ الَّذِي تَهْرُوْنَهُ ، وَ مَادَةَ كُلِّ كِتَابٍ وَ حِحْيَةٍ ،
فَإِنَّ مَادَةَ الْوَرْقِ الْحَشِيشُ الَّذِي يَنْبُتُ فِي الْأَرْضِ ، فَإِنَّ
مِنْهُ عَلَى كُلِّ عَالَمٍ وَ طَالِبٍ ، وَ لِي صِنَةٌ عَلَى كُلِّ مَنْ عَلَيْهِ
مِنْهُ الْعِلْمُ وَ الدِّينِ .

وَ مِنْ بَطْنِي يَخْرُجُ الْذَّهَبُ وَ الْفِضَّةُ ، وَ النَّحَاسُ
وَ الْحَدِيدُ ، الَّذِي فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ ،
وَ الرَّبَتُ الَّذِي يُضْيِّنُهُ وَ الْفَحْمُ الْحَجَرِيُّ الَّذِي تَسِيرُ بِهِ
الْفَاطِرَةُ ، وَ السُّرْوُلُ الَّذِي تَسِيرُ بِهِ السَّيَارَاتُ وَ الطَّائِرَاتُ

إِنَّكُمْ تُفْسِدُونَ أَطْيَبَ الْأَنْسَاءِ، فَكُلُّ مَا تَلْكِسُ
إِنَّكُمْ فَسَدَتُ رَائِحَتَهُ، وَ ذَهَبَتْ نَصَارَتُهُ، وَ أَنَا أُعْنِدُهُ
غَنَّاصَاطِرِيَّاً، وَ بِهَذَا السَّيِّدُ الَّذِي تُلْقَوْنَهُ فِي الْحَقْوَلِ
وَ الْفَسَائِلِ أُنْتَ لَكُمْ حَبَّاً صَحِيْحَّاً، وَ فَاسِكَةَ لَذِيْدَةَ،
وَ زَهْرَةَ جَيْلَةَ.

أَنَا أَمِينُ أَجْسَادِ الْأَنْسَاءِ، أَنَا مَرْقُدُ الشَّهِيدَاءِ، أَنَا
مُسْتَوْدِعُ الْأَوْلَيَاءِ، أَنَا مَضْبَعُ الْمُلْمَاءِ وَالْعَسْلَحَاءِ، أَنَا مَدْفَنُ
الْأَمْهَاتِ وَالْأَبَاءِ، فَلَا تَمْشُوا عَلَى مَرَحَّاً، وَ اذْكُرُوا
قُولَ صَاحِبِكُمْ :

خَفَّفِ الْوَطَأَ مَا أَهْلَنُ أَدِيمَ
الْأَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
وَ قَبَّعَ بِنَاسَهُ إِنْ قَدْمَ الْعَهْدِ
دَهَوَانُ الْأَبَاءِ وَ الْأَجْدَادِ
سُرُّ إِنْ اسْتَطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رَوَنَدَا
لَا اخْتِيَالًا حَسْلَى مَرْفَاتِ الْبَيَادِ



السلطان محمود بن محمد الكجراتي (٣٧)

السلطان العادل المجاهد ، أبو الفتح سيف الدين محمود بن محمد الكجراتي ، كان من خيار المسلمين ، ولد في كجرات في عاشر رمضان سنة ٨٤٩هـ وقام بملك بعد داود شاه سنة ٨٦٢هـ وكان يوماً مشهوراً

استقل بالملك خمساً و خمسين سنة ، و جاهد في الله حق الجهاد ، و وسع حدود ملكه إلى مالوه ، و إلى بلاد السندي ، و لكنه في تلك المدة الطويلة لم يطمع إلى بلاد المسلمين ولم يستشرف لها ، وإذا استولى القوي منهم على الضعيف قام بنصرة الضعيف ، وكان قائماً بالعدل والأخسان ، ينفذ أمر الشرع في السياسة ، و يقضي حكم القصاص ، ولا يمنع كون أحد من عظام الملك الخاصة به أن لا يعمل بالشريعة .

و من مكاريه قيامه بتعمير البلاد و تأسيس المساجد ، و المدارس و الزوايا ، و تكثير الزراعة و غرس الأشجار المثمرة ، و بناء الحدائق و البساتين ، و تحرير بعض

النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ ، وَإِعْاتَهُمْ بِمَحْفَرِ الْأَبَارِ رَاجِرَاءِ الْعَيْوَنِ ،
وَلِذَلِكَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ إِقْبَالًا كُلَّاً ، وَوَفَدَ عَلَيْهِ
الْبَنَاءُونَ وَالْمُهَنْدِسُونَ وَأَهْلُ الْحَرْفِ وَالصَّنَاعَيْنِ مِنْ
بِلَادِ الْعَجَمِ ، فَقَامُوا بِحِرْفِهِمْ وَصَنَاعَيْهِمْ ، فَصَارَتِ
كُجُرَاتٌ رِيَاضًا مُخْضَرَةً يُكْثِرُهُ الْمِيَاضِينَ وَالْأَبَارِ ،
وَالْحَدَائِقُ وَالزُّرُوعُ وَالْفَوَاكِهِ الطَّيِّبَةِ ، وَصَارَتِ
بِلَادُ كُجُرَاتٍ مَتَجَرَّدَةً تُجْلِبُ مِنْهَا النَّيَابُ الرَّفِيعَةُ إِلَى بِلَادِ
أُخْرَى ، وَذَلِكَ كُلُّهُ يَمْلِي سُلْطَانَهَا مُحَمَّدًا شَاهَ إِلَى مَا
يَصْلُحُ بِهِ الْمَلْكُ وَالْدُّوْلَةُ ، وَيَتَرَفَّهُ بِهِ رَعَايَاهُ .

وَمِنْ هَكَارِمِهِ قِيَامُهُ بِتَزْيِيْدِ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ
لِمَا كَانَ يَجْبُلُ لَا عَلَى حُبِّ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ، فَاجْتَمَعَ فِي
حَضْرَتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَفَاقِنِ الْعَرَبِ ، حَتَّى صَارَتِ
بِلَادُ كُجُرَاتٍ عَامِرَةً أَهْلَهَا بِالْعُلَمَاءِ ، وَرَفَدَ عَلَيْهِ الْمُحَدِّثُونَ مِنْ
بِلَادِ الْعَرَبِ ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ ،
فَشَابَهُتْ كُجُرَاتٌ بِالْيَمَنِ الْمَيْمُونِ ، وَفَاقَتْ سَائِرَ بِلَادِ
الْمُهَنْدِسِ فِي ذَلِكَ .

وَكَانَ عَيْنَةً فِي الْعَفَّةِ وَالْحَيَاءِ ، حَسَنَ الْأَخْلَاقِ ،

عَظِيمَ الْهُمَّةِ، كَرِيمَ السَّجِيَّةِ، شَرِيفَ النَّفْسِ، كَثِيرَ
الْبَرِّ وَالْإِحْسَانِ، أَطَالَ الْمُؤْرِخُونَ فِي مَنَافِعِهِ وَفَضَائِلِهِ.
فِي سَنَةٍ ٩١٦هـ تَوَجَّهَ إِلَى تَهْرِوَاللهِ بَنْ، وَزَارَ
أَئِمَّةَ الَّذِينَ هُمْ أَحْيَاءٌ وَأَمْوَالًا، وَعَقَدَ بِجُلْسٍ خَاصًّا
لِلْمَذَادِ كَرَّةَ التَّقْسِيرِ وَالْمُحْدِيثِ، وَأَكْثَرَ مِنَ الْجُوَائزِ،
وَأَعْمَالِ الْبَرِّ وَالْوَظَائِفِ، وَالْتَّسَسِ الدُّعَاءِ، وَكَانَ
أَنْشَأَ مَضْبِعَهُ فِي جَوَارِ قَبْرِ مَوْلَانَا الشَّيْخِ أَحْمَدَ فِي
سَرْكَهِيْجَ، يَتَعَهَّدُهُ أَحْيَانًا، وَقَبْلَ وَفَاتِهِ يَأْيَامَ فَتَحِ
الْقَبْرِ وَجَلَسَ عِنْدَهُ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا أَوَّلُ مَنَازِلِ
الْآخِرَةِ فَسَهِلْهُ وَاجْعِلْهُ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، مُمَّ مَلَأَهُ فِضْلَةٌ
وَتَصَدَّقَ بِهَا .

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ عَصْرَ يَوْمِ الْأَشْتَنِيْنِ ثَانِي شَهْرِ رَمَضَانَ
سَنَةَ ٩١٧هـ وَلَهُ تِسْعٌ وَسِتُّونَ سَنَةً وَمُدَّةُ سُلْطَانِهِ خَيْرٌ
وَخَمْسُونَ سَنَةً .

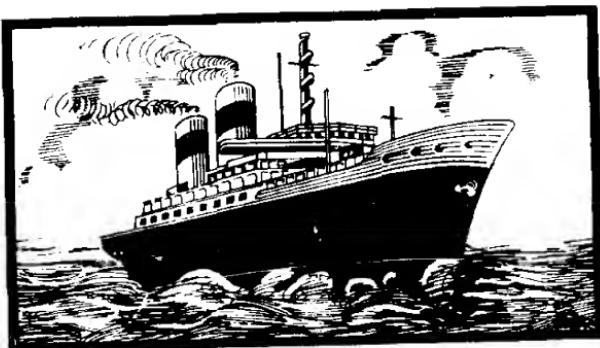
(نَزْهَةُ الْخَواطِرُ لِشَيْخِ عَبْدِ الْحَمِيْرِ)



٣٨

الْبَعْدَ

— (١) —



كَانَ النَّاسُ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ يَسَافِرُونَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ عَلَى الْأَبْلِيلِ وَالْبِغَالِ ، وَعَجَلَاتِ الْخِيلِ وَعَجَلَاتِ الْثَّيْرَانِ ، قَرَاهَا عَادِيَةً رَائِحَةً عَلَى الْطُّرُقَاتِ وَالشَّوَارِعِ تَحْمِلُ الرُّكَابَ وَالْبَضَائِعَ .

وَكَانَ النَّاسُ يَخَافُونَ السَّفَرَ فِي الْبَحَارِ وَيَتَحَمَّلُونَهُ ، وَلِكِنَ الْجَاهِلُونَ الضرُورَةُ إِلَى السَّفَرِ فِيهَا لِأَنَّهُ يَحْمِلُ الْأَنْقَالَ الْعَظِيمَةَ وَلَا يُكْلِمُ نَفَقَةً ، فَوَصَلُوا الْأَهَارَ وَالْبُحَيْرَاتِ بِالرُّوعِ ، وَصَارُوا يَسَافِرُونَ فِيهَا عَلَى السُّفُنِ الشَّرَاعِيَّةِ ،

وَيَقُولُونَ بَضَائِعَهُمُ التِّجَارِيَّةَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ .
 وَكَانَتْ هَذِهِ السُّفُنُ الشَّرَاعِيَّةُ سَيِّرُ مُلَادَةً أَمْيَالٍ فِي سَاعَةٍ
 وَاحِدَةٍ ، وَكَانَتْ هَذِهِ السُّفُنُ تَحْتَ حُكْمِ الرِّيَاحِ ، فَإِنْ
 وَاقَتْ وَصَلَتِ السَّفِينَةُ فِي وَقْتٍ قَرِيبٍ ، وَإِنْ
 عَارَضَتْ وَقَتَّ أَسَايِعَ وَشُهُورًا ، وَإِنْ عَانَدَتْ
 صَدَمَهَا بِصَخْرَةٍ فَكَسَرَهَا ، أَوْ قَلَّبَهَا ، وَهَلَكَ الرِّكَابُ
 وَغَرِقَتِ الْبَضَائِعُ ، وَكَانَ هَذَا يَقْعُدُ كَثِيرًا حَتَّى ذَهَبَ
 مَثَلًا ، وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمُرْؤُ مُذْرِكَهُ
 تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشَهِي السُّفُنُ

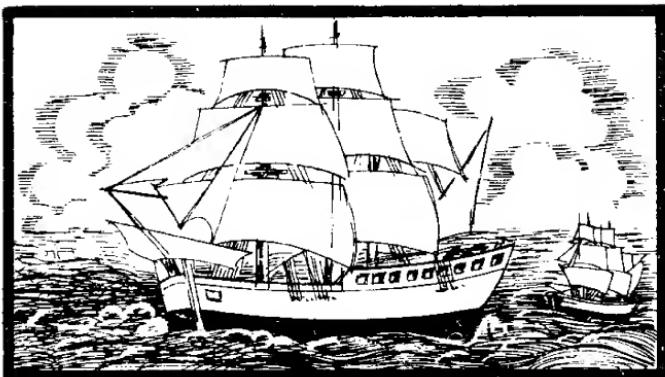
وَكَانَ السَّفَرُ خَطِيرًا لَا يَدْرِي الْإِنْسَانُ أَيْصِلُ إِلَى
 الْمُنْزِلِ أَمْ يَمْوُتُ فِي الطَّرِيقِ ، فَكَانَ الْوَاحِدُ إِذَا أَرَادَ
 أَنْ يَسَافِرَ فِي سَفِينَةٍ شَرَاعِيَّةٍ أَوْ صَنِيْعَةٍ أَفَارِيَّةٍ وَأَصْدِقَاءَ
 يُدْبِيُونَهُ وَبِمَا عَلَيْهِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ لَا يَقْدِرُ أَنْ
 يَقُولَ : إِنَّهُ يَصِلُ فِي شَهْرٍ أَوْ عَامٍ ، فَإِنَّهُ يَسَافِرُ فِي ظُلُمَاتِ
 الْبَحْرِ ، وَكَانَ دُوَدًا عَسْلَى عُودٍ ، لَا يَدْرِي أَيْمَوْتُ فِي
 الطَّرِيقِ أَمْ يَصِلُ سَالِمًا وَيَعُودُ .

وَكَانَ السَّاسَرَاتِ رَغْمَ ذَلِكَ كُلُّهُ يُخَاطِرُونَ بِأَنفُسِهِمْ
وَأَمْوَالِهِمْ ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُسَافِرُونَ لِلْحَجَّ مِنْ كُلِّ
بِلَادٍ ، وَلَا يَنْتَهُمْ خَطَرًا أَوْ خَوْفًا مِنَ السَّفَرِ إِلَى
بَيْتِ اللَّهِ ، وَأَدَاءِ فِرِضَةِ الْحَجَّ ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ
الْهُنْدِ ، وَالصَّينِ ، وَجَزَائِرِ بَحْرِ الْهُنْدِ ، وَكَذَلِكَ
مِنْ مَرَّا كِشْ وَبِلَادِ الْأَنْدُلُسِ يُسَافِرُونَ كُلَّ نَمَاءٍ
لِلْحَجَّ ، وَقَدْ يَسْتَعْرِقُ سَفَرُهُمْ عَامًا كَامِلًا أَوْ أَكْثَرَ :
وَكَانَ الْجُوَابُونَ يَسْيُحُونَ فِي الْأَرْضِ ، وَيَرْكُبُونَ
الْبَحْرَ مِنَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى إِلَى الْمَشْرِقِ الْأَقْصَى ، وَكَانَ
الْعَالَمُ الْإِسْلَامِيُّ كَيْسِيٌّ وَاحِدٌ ، وَالْمُسْلِمُونَ كَأُسْرَةٍ وَاحِدَةٍ ،
يَنَالُ الْجُوَابُ فِي السَّفَرِ كُلَّ مَا يَحْدُهُ فِي الْوَطَنِ .

أَهْلًا بِأَهْلٍ وَّ جِيرًا نَّبِيَّرًا .

وَقَدْ سَافَرَ ابْنُ بَطْوَطَةِ الْمَغْرِبِ ، وَابْنُ جَبَيرِ
الْأَنْدُلُسِيِّ ، وَسَلِيْمَانُ التَّاجِرُ ، إِلَى مُعْظَمِ الْمُعْوَرَةِ
بِهَذِهِ السُّفُنِ .





مَضَى عَلَى ذَلِكَ قَرْوَنْ، ثُمَّ بَدَأَ النَّاسُ يُفَكَّرُونَ،
وَيَخْرِعُونَ حَتَّى تَوَصَّلُوا إِلَى سَفِينَةٍ تَسِيرُ بِالْبُخَارِ،
وَكَانَ ذَلِكَ بِالتَّذْرِيجِ، وَفِي عَدَّةٍ قَرْوَنِ.
كَانَتِ السُّفْنُ الشَّرَاعِيَّةُ تَسِيرُ بِالْمَجَادِيفِ، وَتَقْدَمُ
بَعْضُ الْأَذْكِيَاءِ فَرَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَعْلَةً رَبَطَ يَهَا الْمَجَادِيفُ،
فَإِذَا دَارَتِ الْعَجْلَةُ بَدَأَتِ الْمَجَادِيفُ تَعْمَلُ وَتَمْخُرُ الْمَاءَ.
ثُمَّ اهْتَدَى بَعْضُ الْأَذْكِيَاءِ إِلَى إِدَارَةِ الْعَجْلَةِ بِالْبُخَارِ،
وَالْأَسْتِغْنَاءِ عَنِ الْيَدِ الْعَامِلَةِ، وَلَمْ تَرِزِلِ الصَّنَاعَةُ تَرَقِيَّ،

حَتَّى ظَهَرَتْ أَوَّلْ سَفِينَةٍ بُخَارِيَّةٍ، صَنَعَهَا رَجُلٌ أَمْرِيكِيٌّ
اسْمُهُ «هِلْتَنْ كِلَرْ مَا وُنْتْ» قَطَعَتْ مَائَةً مِيلًّا فِي أَرْبَعَ
وَعِشْرِينَ مَاسَاعَةً.

وَلَمْ تَرِلِ السُّفْنُ الْبُخَارِيَّةُ تَقْدَمْ فِي السُّرْعَةِ
وَالْقُوَّةِ، حَتَّى أَصْبَحَتْ تَعْرُجُ الْبَحْرَ الْأَطْلَاطِيَّكِيَّ بَيْنَ
إِنْكَلَرَةَ وَأَمْرِيْكَةَ فِي حَسَنَةِ أَيَّامٍ، وَكَانَ السَّفَرُ فِي
هَذَا الْبَحْرِ يَأْخُذُ شَهْرَيْنِ.

وَالْبَاخِرَةُ كَالْفَاطِرَةِ تَسِيرُ بِقُوَّةِ الْبُخَارِ، فَإِنَّهُ يُدْرِرُ
الْعَجَلَةَ، وَالْعَجَلَةُ مُتَصَلَّهٌ بِالْآلاتِ تَعْرُجُ الْبَسِيرَةَ
بِدَوْرِ إِنْهَا وَتَسِيرُ.

وَكَذَلِكَ هُنَالِكَ آلَاتٌ تُوْجِهُ الْبَاخِرَةَ مِنْ جِهَةٍ
إِلَى جِهَةٍ، وَتُسْخِرُهَا لِلرَّتَانِ يَسِيرُهَا كَيْفَ يَشَاءُ.

وَقَدْ تَقْدَمَتِ التَّجَارَةُ تَقْدَمًا عَظِيمًا، وَأَصْبَحَ
النَّاسُ يَسَافِرُونَ فِي الْبَحْرِ عَلَى مَنْفِعِ الْبَسِيرَةِ كَمَا يَعْمَلُونَ
يَسَافِرُونَ فِي الْبَرِّ عَلَى الْقِطَارِ، أَوْ مُطَمَّسُونَ فِي الْبَلَدِ
وَجَالِسُونَ فِي الدَّارِ

وَكَبَرَتِ الْمَرَاكِبُ وَتَوَسَّعَتْ، حَتَّى كَانَهَا حَارَةً

مِنْ حَارَاتِ الْبَلْدَ، أَوْ قَرَبَهُ صَغِيرَةً، فِيهَا الْمَطْعَمُ
وَالْمَلْعُبُ وَمَنْزَهَاتُ، وَتَحْمِلُ مِنَ الرُّكَابِ
مِنْ خَمْسٍ مِائَةً إِلَى أَلْفٍ.

وَإِذَا رَأَى الْإِنْسَانُ السُّفْنَ الشَّرَاعِيَّةَ وَالْمَرَاكِبَ
الْبُخَارِيَّةَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ رَخَاءً تَعْجَبُ، وَرَأَى تَصْدِيقَ
قَوْلِهِ تَعَالَى « وَسَخَّرْلَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِي فِي الْبَحْرِ
بِأَمْرِهِ، وَسَخَّرْلَكُمُ الْأَنْهَارَ ».

٤٧ جَسْمُ الطَّيْورِ

إِنَّ اللَّهَ وَهَبَ لِكُلِّ حَيَوَانٍ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ جِسْمًا
لَا يَنْقَأُ، وَأَعْضَاءً يَسْعَيْنُ بِهَا عَلَى قَضَاءِ حَوَالِحِهِ، وَتَحْصِيلِ
قُوَّتِهِ، وَمِلَاحَةً يَدْافِعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، فَهُوَ الَّذِي أَعْطَى
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى.

أَنْظُرُوا إِلَى الْفَيْلِ كَيْفَ مَدَ اللَّهُ فِي أَنْفُسِهِ لِيُسْتَخْدِمَهُ
فِي حَوَالِحِهِ، وَيَتَأَوَّلَ بِهِ الطَّعَامَ وَالْمَاءَ، وَيُوْجِهَ حَيْثُ
شَاءَ، وَفِي طَرْفِهِ زَائِدَةٌ يَلْتَقِطُ بِهَا الْأَشْيَاءَ الدَّقِيقَةَ، وَقَدْ

فَرَأَمْمَ أَنَّ الْجَنْلَ رَقْبَتُهُ طَوِيلَةُ ، لَأَنَّهُ كَبِيرُ الْجَسْمِ ، طَوِيلُ الْأَرْجُلِ ، فَلَوْ كَانَتْ رَقْبَتُهُ قَصِيرَةً لَمْ يُمْكِنْهُ أَنْ يَرْعَى الْكَلَاءَ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى يَمْرُكَ ، وَ فِي ذَلِكَ تَبَعَ عَظِيمٌ ، وَ شُعْلٌ كَثِيرٌ ، فَمَدَ اللَّهُ فِي عُنْقِهِ ، وَ رَأْمَهُ صَغِيرٌ ، فَكَانَ خَيْفَ الْحَلْلِ عَلَى رَقْبَتِهِ ، وَ لَمَّا قَدَرَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ الْجَنْلَ سَفِينَةَ الصَّحَرَاءِ جَعَلَ أَرْجُلَهَا مُنَاسِبَةً لِذَلِكَ ، فَلَا تَسُونُهُ فِي الرَّمَالِ ، وَ خَلَقَ فِي جَوْفِهِ كَرْوَشًا وَ أَزْقَافًا يَخْزُنُ فِيهَا الْغِذَاءَ وَ الْمَاءَ ، لِأَنَّ السَّفَرَ فِي الصَّحَرَاءِ يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ كَثِيرًا .

أَنْظُرُوا إِلَى الْقُنْغَرِ وَ الْأَرْنَبِ ، تَرَوَا رِجْلَيْهَا الْخَلْفَيْتَيْنِ طَوِيلَيْنِ وَ كَبِيرَيْنِ ، وَ رِجْلَيْهَا الْأَمَامَيْتَيْنِ صَغِيرَيْنِ وَ قَصِيرَيْنِ ، لِيُمْكِنَهُمَا الْجُرُيُّ قَفْرًا ، وَ فِي قَدْمَيِ الرَّجُلَيْنِ الْخَلْفَيْتَيْنِ لِلْقُنْغَرِ ظِلْفٌ حَادٌ جِدًّا ، هُوَ سِلَاحُهُ يَقْرِبُ بِهِ بَطْنَ عَدُوِّهِ بِطَعْنَةٍ وَاحِدَةٍ .

كَذَلِكَ الطَّيْوُرُ ، فَقَنْ جِسْمَهَا وَ خَلَقَتْهَا آيَاتُ اللَّهِ ، فَقَدْ كَسَ اللَّهُ جِسْمَهَا بِالرَّيْشِ ، لِأَنَّهُ أَخْفَى لِلطَّيْرَيْنِ ، وَ جَعَلَ عِظَامَ الطَّائِرِ رَقِيقَةً جَوْفَاهُ ، فَلَا يَعُوْقُهُ يُقْلِلُ

رِيشٍ ، أَوْ جِسْمٍ عَنِ الطَّرَانِ .
مِمْ وَهَبَ أَنْوَاعَ الطَّيْوَرِ أَنْوَاعًا مِنَ الْمَسَافِيرِ ،
تَخْتَلِفُ بِالْخِلَافِ بِطِبْيَةِ الطَّيْرِ وَغِذَائِهِ وَعَادَاتِهِ ، وَكَذَلِكَ
يَخْتَلِفُ تَرَكِيبُ أَقْدَامِهِ .

أَنْظُرْ إِلَى الْعَصَافِيرِ وَالْحَمَامِ ، وَالْيَسَامِ وَالْعَرَبَانِ ،
لَيْسَتْ أَجْسَامُهَا عَالِيَّةً ، وَأَنَّهَا تَلْقُطُ حَبًّا صَغِيرًا مِنَ
الْأَرْضِ ، فَلَمْ تَكُنْ فِي حَاجَةٍ إِلَى طُولِ الْأَعْنَاقِ ،
وَمَنَاقِيرُهَا مُسْتَقِيمَةٌ وَقَصِيرَةٌ تُعِيشُ فِي حَاجَاتِهَا .

أَنْظُرْ إِلَى الطَّيْوَرِ الَّتِي تُعِيشُ فِي الْمَاءِ ، وَتَبْحَثُ
عَنْ قُوَّتِهَا فِي الْمَاءِ كَالْبَطْ وَاللَّقْلَقِ ، تَرَ أَعْنَاقَهَا وَمَنَاقِيرَهَا
طَوِيلَةً لِأَنَّهَا تُرْسِلُ مَنَاقِيرَهَا فِي أَعْمَاقِ الْأَهْمَارِ وَالْبَرَكِ ،
وَتَسْتَخْرِجُ قُوَّتِهَا مِنْ أَحْشَائِهَا ، نَفَقَ اللَّهُ لَهَا أَعْنَاقًا
طَوِيلَةً ، وَمَنَاقِيرٌ مُسْتَقِيمَةٌ وَطَوِيلَةٌ كَذَلِكَ .

وَانْظُرْ إِلَى الطَّيْوَرِ الَّتِي تَقْتَاتُ بِاللَّحْمِ وَالْفَاكِهَةِ
وَتَأْكِلُهَا بَهْشًا ، كَالْجِدَاءِ وَالنُّسُورِ وَالصَّفُورِ لَا يَجِدُ
مَنَاقِيرُهَا مُسْتَقِيمَةً ، لِأَنَّهَا لَا تُغْنِي عَنْهَا ، وَلَا تَقْضِي حَاجَجِهَا ،
نَفَقَ اللَّهُ لَهَا مَنَاقِيرٌ مُتَقْوَسَةٌ حَادَةَ الطَّرْفِ ، وَيَكُونُ

طَرْفَهَا الْأَعْلَى مُتَقَدِّمًا مُتَقَوْسًا، فَيَعِيشُنَا فِي نَهْشِ الْمَحْوُمِ
وَقَرْضِ الْفُوَاكِوَ وَفِي الْعَصْنِ عَلَيْهَا .
كَذَلِكَ إِذَا نَظَرْنَا إِلَى أَرْجُلِ الطَّيْوَرِ وَمَخَالِهَا، رَأَيْنَا
يَسِّهَا فَرَقًا بِمَحْسِبٍ أَنْوَاعَ الطَّيْوَرِ وَطَبَائِهَا، وَعَادَاهَا،
وَغَذَاهَا، فَالْطَّيْوَرُ الَّتِي تَعِيشُ عَلَى الْبَرِّ، وَتَلْتَقِطُ الْحَبَّ
يَسْتَ أَرْجُلَهَا طَوِيلَةً، وَأَنَّهَا تَرْفَعُ رِجْلَهَا فِي وَقْتٍ
وَاحِدٍ، وَتَمْشِي وَثِبًا، وَأَمَّا الطَّيْوَرُ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْمَاءِ
وَتَصِيدُ السَّمَكَ وَهَوَامَ الْمَاءِ فَإِنَّهَا تَقْدَمُ رِجْلًا فِي
الْمَسْأَى وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى كَالْإِنْسَانِ، وَتَمْشِي رُوَيْدًا، فَإِنَّهَا
إِذَا وَبَثَتْ وَثَبَاتٍ أَوْ قَفَرَتْ أَفْلَتَهَا الصَّيْدُ .

كَذَلِكَ الطَّيْوَرُ الَّتِي تَسْبَحُ فِي الْمَاءِ، وَتَصِيدُ
فَإِنَّهَا جِلْدٌ رَّقِيقٌ فِي مَخَالِهَا يَصِلُ بَيْنَ أَصَابِعِهَا، فَتَسْتَشِرُ
مَخَالِهَا كَالْمُظَلَّاتِ إِذَا نَفَرَتْ، وَتَسْاعِدُهَا فِي السَّيَاحَةِ
مَسَاعِدَةً غَالِيَةً .

وَالْطَّيْوَرُ الَّتِي تَقْنَاتُ بِاللَّهُمَّ لَهَا أَرْجُلٌ قَوِيَّةٌ
وَمَخَالِبٌ كَبِيرَةٌ، وَفِي أَصَابِعِهَا أَظْفَارٌ مُتَقَوْسَةٌ حَادَّةٌ
الْأَطْرَافِ تُسَاعِدُهَا فِي نَهْشِ الْمَحْوُمِ، وَتَقْوَمُ أَرْجُلَهَا

وَخَالِبَا مَقَامَ الْأَرْجُلِ وَالْأَيْدِيِّ ، فَإِذَا مَشَتْ كَانَتْ
هَا أَرْجُلًا تَمْشِي بِهَا ، وَإِذَا طَارَتْ أَوْ أَرَادَتْ أَنْ تَأْكُلَ
كَانَتْ لَهَا أَيْدِيَا تَبَطِّشُ ، وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الطَّيْرِ قَدْ يُمْسِكُ
عُوْدًا أَوْ قِطْعَةً لَحْمًا ، وَيَطِيرُ فِي الْجَوَّ وَيَسْتَقْلُ بِهِ ، فَلَا
يَسْقُطُ مِنْ يَدِهِ ، وَكَثِيرًا مَا رَأَيْنَا الْبَازِيَّ قَدْ قَبَضَ عَلَى
طَائِرٍ كَبِيرٍ بِمَحَايِرِهِ وَطَارَ بِهِ إِلَى عُشِّهِ ، وَأَكَلَهُ هُنَالِكَ
آمِنًا مُهْتَمِمًا .

٤٤ شِيرَشَاهُ السُّورِيُّ سُلْطَانُ الْهَنْدِ — (١) —

كَانَ شِيرَشَاهُ شَاهٌ مِنْ خَيَارِ السَّلَاطِينِ ، عَادِلًا بَادِلًا
رَحِيمًا شُجَاعًا مُقدَّامًا ، وَكَانَ أَبُوَهُ مِنْ أُوْسَاطِ النَّاسِ ،
وَكَانَ شِيرَشَاهُ يَتَعَلَّمُ فِي جَوَنْ بُورَ ، وَيَقْرَأُ الْكُتُبَ
الدَّرِيَّةَ ، وَلَمْ يَرُزِّلْ يَجْهِدْ وَيَرْتَقِي حَتَّى نَالَ الْمُلْكَ .
وَكَانَ وَزَعَ أَوْقَاهُ مِنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةً ، شَطَرًا مَمْبَأً
لِلْعِيَادَةِ ، وَشَطَرًا لِلْعَدْلِ وَالْفَضَاءِ ، وَبَعْضَهَا لِإِصْلَاجِ
الْعَسْكَرِ ، فَكَانَ يَتَسَهَّلُ مِنَ النَّوْمِ فِي ثُلُثِ الْلَّيْلِ الْآخِرِ ،
وَيَقْتَسِلُ وَيَتَهَجَّدُ وَيَشْتَغِلُ بِالْأَوْرَادِ إِلَى أَرْبَعِ

سَاعَاتٍ، ثُمَّ يَنْظُرُ فِي حِسَابَاتِ الْادَارَاتِ الْمُخْلِفَةِ، وَيُرِيدُ
الْأُمَرَاءِ فِي مَا يَهْمِمُهُمْ مِنَ الْأُمُورِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ،
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى بَرْنَاحِ الْعَمَلِ لِئَلَّا يُشَوِّشُوا أُوْفَاتَهُ بَعْدَ
ذَلِكَ بِالْأَكْسِيَّةِ، ثُمَّ يَقُولُ وَيَتَوَضَّأُ لِصَلَةِ الْفَجْرِ وَيَصْلِيْهَا
بِالْجَمَاعَةِ، ثُمَّ يَقْرَأُ الْمُسَبِّعَاتِ الْعَشَرَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَوْرَادِ،
ثُمَّ يَخْضُرُ لَدِيهِ الْأُمَرَاءِ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ وَيَصْلِيْهِ
صَلَةَ الْأَشْرَاقِ، ثُمَّ يَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ حَوَالَتِهِمْ وَيُعْطِيهِمْ
مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، مِنْ خَيْلٍ، وَأَقْطَاعٍ، وَأَمْوَالٍ، وَغَيْرَ
ذَلِكَ، لِئَلَّا يَسْأَلُوهُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُوقَاتِ، ثُمَّ يَتَوَجَّهُ
إِلَى الْمُظْلُومِينَ وَالْمُسْتَعِينِ، وَيَجْتَهِدُ فِي إِغْاثَتِهِمْ.
وَمِنْ عَوَادِهِ بَعْدَ الْأَشْرَاقِ أَنَّهُ أَلَزَمَ نَفْسَهُ أَنَّ

يُعَرِّضَ عَلَيْهِ الْعَسَكِرَ كَمْ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَإِلَى أَسْلَحَتِهِمْ، ثُمَّ
يُعَرِّضُ عَلَيْهِمْ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَبْتَتَ فِي الْعَسْكِرِيَّةِ، فَيَكْلُمُ
مَعْهُ وَيَخْتِبِرُهُ، ثُمَّ يَأْمُرُهُ أَنْ يَبْتَتَ أَسْمَهُ فِي الْعَسْكِرِيَّةِ،
ثُمَّ يُعَرِّضُ عَلَيْهِ الْجَبَابِيَّاتِ الَّتِي تُورَّدُ عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِهِ
كُلَّ يَوْمٍ، ثُمَّ يَتَمَلَّ بَيْنَ يَدَيْهِ الْأُمَرَاءِ وَالْمَزَارِيَّةِ،
وَسُفَراَءِ الدَّوْلِ وَالْوَكَلَاءِ، فَيَتَحَدَّثُ مَعْهُمْ، ثُمَّ

تُعرضُ عَلَيْهِ عَرَائِضُ الْأَمْرَاءِ وَ الْعَمَالِ ، فَيَسْعُمُهَا
وَ يَمْلِي جَوَابَهَا ، ثُمَّ يَقُولُ وَ يُصْلِي إِلَى الطَّعَامِ ، وَ عَلَى
مَائِدَتِهِ جَمَاعَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَ الْمُشَائِخِ ، ثُمَّ يَشْتَغلُ نَحْوَ
سَاعَتَيْنِ يَأْمُورُ بِخُصُوصِيَّةِ ، وَ يَقْبِلُ إِلَى وَقْتِ الظَّهِيرَ ،
ثُمَّ يَقُولُ وَ يُصْلِي بِجَمَاعَتِهِ ، وَ يَشْتَغلُ بِتَلَاوَةِ الْقُرْآنِ
الْمَكْرِيمِ ، ثُمَّ يَمْهَاتُ الْأَمْرُورِ لِلْدَّوْلَةِ ، وَ كَانَ
لَا يَرْجُلُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فِي طَعْنٍ وَ لَا إِقَامَةً ، وَ كَانَ
يَقُولُ : الرَّجُلُ الْكَبِيرُ مَنْ يَصْرِفُ أَوْقَاتَهُ فِي الْأَمْرُورِ
الْمُهْمَّةِ .

وَ كَانَ يَتَوَجَّهُ إِلَى الْمُهَمَّاتِ وَ يَبَشِّرُ الْأَمْرُورَ
بِنَفْسِهِ ، وَ يَقُولُ : لَا يَبْغِي لِصَاحِبِ الْأَمْرِ أَنْ يَسْتَضْعِفَ
مَا يَهُمْ مِنَ الْأَمْرُورِ نَظَرًا إِلَى عُلُوّ مَرْتَبَتِهِ ، فَيُلْقِيَهَا عَلَى مَنْ
حَوْلَهُ مِنْ رِجَالِهِ ، لَا يَسْتَهِمُ لَا يَبْتَهِمُونَ فِيهَا ، وَ رُبَّمَا
يَتَنَاهُلُونَ عَنْهَا طَمْعًا وَ ارْتِشَاءً .

وَ كَانَ يَعَاقِبُ الْبُنَاءَ وَ قُطْعَانَ السُّبْلِ وَ الظَّالَّةَ
أَشَدَّ عُقُوبَةً ، وَ يَعِزِّزُهُمْ أَشَدَّ تَعْزِيزٍ ، وَ كَانَ لَا تَأْخُذُهُ
بِهِمْ رَأْفَةً وَ إِنْ كَانُوا مِنْ أَصْهَارِهِ وَ أَقْرَبَائِهِ .

٤٢ شِيرُشاَه السُّورِي سُلْطَانُ الْهِنْد

— ፲ (٢) —

وَ مِنْ مَآقِرِهِ أَسَسَ شَارِعًا كَبِيرًا مِنْ سُنَّازِ
كَأُونَ أَقْصَى بِلَادِ بَنْكَالَةَ ، إِلَى مَاءِ نِيلَابَ مِنْ أَرْضِ
السَّنْدُو ، مَسَافَتُهَا أَلْفٌ وَ خَمْسٌ مِائَةٌ كُرُوفٍ ، وَ الْكُرُوفُ
فِي عُرْفِ أَهْلِ الْهِنْدِ مِيلَانِ ، وَ أَسَسَ فِي كُلِّ كُرُوفٍ
رِبَاطًا ، وَ رَتَبَ بِهِ طَعَامًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ خَاصَّةً
وَ لِلْهَنَادِكِ خَاصَّةً ، وَ أَسَسَ مَسْجِدًا فِي كُلِّ كُرُوفٍ مِنْ
الْأَجْرٍ وَ الْجَصَّ ، وَ وَظَفَ الْمَوْذَنَ ، وَ الْمُقْرِئِ
وَ الْأَمَامَ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَ عَيْنَ فِي كُلِّ رِبَاطٍ فَرَسِينُ
لِلْبَرِيدِ ، فَكَانَ تُرْفَعُ إِلَيْهِ أَخْبَارُ نِيلَابَ إِلَى أَقْصَى بِلَادِ
بَنْكَالَةَ كُلَّ يَوْمٍ ، وَ غَرَسَ الْأَشْجَارَ الْمُشَمَّرَةَ بِجَانِبِ
الشَّارِعِ الْكَبِيرِ ، فَيَسْتَظِلُّ بِهَا الْمُسَافِرُ وَ يَأْكُلُ مِنْهَا
وَ كَذَلِكَ غَرَسَ الْأَشْجَارَ الْمُشَمَّرَةَ عَلَى الْطَّرِيقِ
مِنْ أَكْرَهَ إِلَى مَنْدُو ، وَ يَتَهَمَّ مَسَافَةً ثَلَاثَ مِائَةَ
كُرُوفٍ ، وَ أَسَسَ الرِّبَاطَاتِ وَ الْمُسَاجِدَ ، وَ بَلَغَ الْأَمْنُ

وَ الْأَمَانُ فِي عَهْدِهِ مَبْلَغًا لَا يُسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْدُدَ يَدَهُ
 فِي الصَّحْرَاءِ إِلَى عَجُوزٍ تَحْمِلُ مَتَاعَهَا ،
 وَ كَانَ شِيرُ شَاهَ يَتَسَفَّتُ عَلَى أَنَّهُ نَالَ السُّلْطَةَ
 فِي كِبِيرٍ سِنَّهُ ، وَيَقُولُ : إِنْ سَاعَدَنِي الزَّمَانُ أَعْثُ
 رِسَالَةً إِلَى عَظِيمِ الرُّومِ وَأَسَأَلَهُ أَنْ يُرَكِّبَ بِعَسَارِكِهِ إِلَى
 بِلَادِ الْقَرْسِ ، وَنَخْنُ نُرَكِّبُ مِنْ هَاهُنَا إِلَى تِلْكَ الْلَّادِ ،
 فَنَدْفَعُ بِمُسَاعِدَةِ مَلِكِ الْرُّومِ شَرَّ الْأَوْبَاشِ الَّذِينَ يَقْطَعُونَ
 طَرِيقَ الْحُجَّاجِ ، وَنُحْدِثُ شَارِعًا آمِنًا إِلَى مَكَةَ الْمَبَارَكَةِ ،
 وَالْكِنَّ الْأَجَلَ لَمْ يُمْهِلْهُ فَاتَّ قَبْلَ بُلُوغِهِ إِلَى تِلْكَ
 الْأُمُنِيَّةِ ، وَ كَانَ ذَلِكَ فِي ثَانِي عَشَرَ مِنْ رَّيْبِعِ الْأَوَّلِ

سَنَةَ ٨٩٥٢

(تُرْمِهُ الْخَاطِرُ لِلتَّسْبِيحِ عَدَ الْمَقْبِرَاتِ)



شرح الكلمات المستحدثة

المكلمة	شرح الكلمة
المسنة	آلة يسمع بها صوت الفس و حركة الطب
الإلة	حالة فيها قبض و سراويلات
المعرض	مكان يعرض فيه المصنوعات و الطرف و المغيرات
المتحف	دار الآثار التدمرية
مليون	عشر مائة ألف
المنظرة	آلة يستعملها ضعاف النظر لمساعدة العين و تقوية النظر
الواسة	الشان الذي يمنع الطالب السابق أو الجندي المستحق
المصلحة	إدارة من إدارات الحكومة
الشاش	الشاشة الصغيرة الذي يصاد به الطيور
المدفع	آلة من حديد تدفع القنابل و تستعمل في المروب
الأسطول	مجموع سفن حربية
القاطرة	العربة البخارية التي تجر القطار
القطار السريع	أسرع القطار الذي يسمى في الهند قطار البريد
قطار بين السائق والواقف	قطار السريع
قطار الركاب الذي يقف على كل محطة	قطار الركاب الذي يقف على كل محطة
الموقف	المكان الذي يلتقي فيه الفغم و تشعل فيه النار
الوقد	عادم القطار الذي وظيفته مراقبة النار و الماء
أمين القطار	مرافق القطار الذي يسافر في مؤخر القطار و يحرر البيدق
المصد	الآلة التي توقف بها السيارة و القطار
الباخرة	السفينة البخارية (١٠٠)

فهرست الجزء الثاني من القراءة الراسدة

الصفحة	الموضوع	الرقم
٣	نهاية البitem	(١)
٦	كسرة من الخبر	(٢)
٩	عيادة المريض	(٣)
١١	الكتبياء	(٤)
١٤	يوم صائف	(٥)
١٤	النظافة	(٦)
١٨	الخين إلى الشهادة (١)	(٧)
٢٠	الخين إلى الشهادة (٢)	(٨)
٢٢	كن أحد السبعة (١)	(٩)
٢٤	كن أحد السبعة (٢)	(١٠)
٢٧	العين (١)	(١١)
٢٩	العين (٢)	(١٢)
٣١	أدب المعاشرة	(١٣)
٣٣	عبد الأضحي	(١٤)
٣٥	تاريخ القبص	(١٥)
٣٧	الأسد	(١٦)

الصفحة	الموضع	الرقم
٣٩	غور الدبى	(١٧)
٤٠	رسالة إلى رسول الله ﷺ	(١٨)
٤٢	حادة	(١٩)
٤٤	فق الاسلام	(٢٠)
٤٤	الرمادية	(٢١)
٤٩	المحل (١)	(٢٢)
٥٠	المحل (٢)	(٢٢)
٥٢	أنا ما تاعرفي	(٢٤)
٥٥	سفينة على البر	(٢٥)
٥٨	الخطبقة عمر بن عبد العزير (١)	(٢٦)
٤٠	الخطبقة عمر بن عبد العزير (٢)	(٢٧)
٤٢	في بيت أبي أيوب الانصاري	(٢٨)
٤٤	الامام مالك بن أنس	(٢٩)
٤٧	القاطرة (١)	(٣٠)
٤٩	القاطرة (٢)	(٣١)
٧٢	جسم البنات (١)	(٣٢)
٧٥	جسم البنات (٢)	(٣٣)
٧٧	البطة	(٣٤)
٧٨	الحجاج و الفتية	(٣٥)

صفحة	الموضوع	الرقم
٨٠	أنا زاب	(٢٦)
٨٣	السلطان عمود بن محمد الكجهانى	(٢٧)
٨٤	الباخرة (١)	(٢٨)
٨٩	الباخرة (٢)	(٢٩)
٩١	جسم الطيور	(٤٠)
٩٥	شير شاه السورى (١)	(٤١)
٩٨	شير شاه السورى (٢)	(٤٢)
١٠٠	شرح الكلمات المستحدثة	(٤٣)
١٠١	فهرست الجزء الثاني من القراءة الرائدة	(٤٤)
١٠٤	الموضوعات بحسب الأغراض	(٤٥)



الموضوعات بحسب الأغراض

١- دروس من التاريخ الإسلامي ٥- الوصف وما يتصل بالحياة

عبادة المريض	شهادة النبي
يوم صاف	الذين إلى الشهادة (١ و ٢)
النظافة	رسالة إلى رسول الله ﷺ
عبد الألبي	سفينة على البر
حادثة	في ميت أبي أيوب الأنصاري
الرمادية	٢- رجال التاريخ الإسلامي

٤- ما يتصل بالحيوان والنبات

الأسد	فقه الإسلام
الثليل (١ و ٢)	الظيفة عمر بن عبد العزيز (١ و ٢)
جسم النبات (١ و ٢)	الإمام مالك بن أنس
جسم الطيور	السلطان محمود بن محمد الكجراوي
٧- المخترعات الحدية	شيرشاه السورى سلطان الهند (١ و ٢)

٦- المخترعات الحدية

الفاطرة (١ و ٢)

البخارة (١ و ٢)

٨- شعر و ملح

أدب المعاشرة

غورور الدنيا

البناء

الحجاج و الفتنية

أنا زراب

الحكيماء

كن أحد السبعة (١ و ٢)